اورشليم .. قاتلة الأنبياء

تأليف

محمود الشرقاوي

١٩٦٨

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ الزيتون ت ٨٦٤٨٧٦

فى هــذا الكتاب

مقدمة

الحق أقول لكم . . . .

إن الصهيونية — وهى حركة عنصرية — خطر على العالم كله ، وليس على العرب وحدهم .

ولنقرأ معاً — أيها القارىء العزيز — هذه الكلمات . .

[نحن شعب الله المختار ، بل نحن البشر على الصورة التى تركزت فى مخيلة الله .

إن كل عبقرية العقل الإنسانى كامنة فى رؤوسنا .

ذكاؤنا متصل فى نفوسنا ، فذكاؤنا ولد معنا .

ولم يكن كذكاء باقى البشر . . .

إن الناس جميعاً لا يبصرون إلا موضع أقدامهم .

أما نحن فنستطيع أن ننفذ إلى المستقبل ، ونحكم على الأشياء كما سوف تكون .

ولهذا شاءت لنا الطبيعة أن نسود العالم ونسيطر عليه .

ولن نسود قطراً واحداً ، ولا دولة واحدة ، وإنما سنسود العالم بأسره .

وسنخضع أوربا جميعها، ونحيلها إلى ولايات صغيرة تخضع لحكمنا.

وسنتخذ برلين عاصمة لنا ، وسنغزو آسيا وأفريقيا ، ونضم دولها إلى أملاكنا .

أما أمريكا فستكون فريسة سهلة لنا نسيرها كما نشاء ونهوى.

يجب أن تكون مطامعنا واسعة ، وحماستنا جارفة ، وظمأنا للانتقام حاراً مستعرا .

ويجب أن تكون خططنا مفصلة عميقة ، وأن تظل سرا مغلقاً لا يعرفه أحد] .

إن هذه العبارات جاءت فى قرار خطير أعلنه اليهود فى أول مؤتمر صهيونى كان قد عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧.

وقد رسموا فى ذلك القرار الخطط والنظم لتحقيق أهدافهم والتى احتفظوا بسريتها ، وما أن بلغت شائعات ذلك القرار قيصر روسيا فى ذلك الوقت ، حتى بث الجواسيس وبذل الجهد المضنى للحصول

على نسخة منه ، لنشرها على العالم . وقد طبعته روسيا بمال القيصر ونشرته فى كتاب باسم « بروتوكولات الحكيم صهيون » فأحدث ضجة فى أنحاء العالم ، ثم اختفى من الأسواق .

وقد حاولت الصهيونية العالمية فى فترات مختلفة إنكار صلتها بهذا البروتوكول الرهيب . ولكن عشرات السنين التى مضت أكدت مدى تعلق الصهيونيين بهذا البروتوكول لإفساد البشرية والسيطرة على العالم .

* * *

وقد شعر بنيامين فرانكلين أحد أبطال الاستقلال الأمريكى بخطر الصهيونية على الولايات المتحدة فقال فى خطابه عام ١٧٨٩ ما يلى[١] :

[هناك خطر جسيم تتعرض له الولايات المتحدة الأمريكية وهذا الخطر هو الإسرائيليون .

أيها السادة :

أينما حل اليهود هبط المستوى الأخلاقى والشرف التجارى . لقد ظلوا دائماً فى عزلة لا يندمجون فى أية أمة ؛ يدفعهم الشعور بأنهم مضطهدون إلى خنق الأمة اقتصادياً كما حصل فى أسبانيا والبرتغال .

(١) أصل هذا الخطاب محفوظ فى معهد فرانكلين بفلادلفيا .

كانوا دائمى الشكوى من مصيرهم القاسى ، ولكن إذا هيأ لهم العالم المتمدين اليوم سبل العودة إلى فلسطين خلقوا أسباباً حاسمة الرفض .

لماذا ؟

لأنهم كالخفافيش الكبيرة لا يمكن أن تعيش بعضها فوق بعض .

إنهم لا يحبون أن يعيشوا معاً بل يعملون على أن يعيشوا بين المسيحيين أو بين الشعوب الأخرى التى لا صلة لها بجنسيتها ، فإذا لم تقصهم الولايات المتحدة بنص دستورها فسنراهم فى أقل من مائة عام يقتحمون هذه البلاد لكى يسيطروا عليها ويدمروها . إنهم سوف يغيرون نظام الحكم الذى سالت من أجله دماؤنا وضحينا له بحياتنا وأموالنا وحريتنا الشخصية.

وإذا لم يقص اليهود فلن تمضى مائة عام حتى يذوق أحفادنا الشقاء الأليم لإطعامهم "

إننى أحذركم ، أيها السادة ، إنكم إذا لم تقصوا اليهود ، فستحل عليكم لعنة أولادكم فى قبوركم . إنهم لن يتأثروا بأفكارنا حتى إذا عاشوا بيننا عشرات الأجيال . . .

إن اليهود خطر على هـــذه البلاد فإذا دخلوها حاق الخطر بدستورها ، يجب إذن إقصاؤهم عنا . .]

* * *

ويزعم اليهود أنهم شعب الله المختار ، وقد ناقشنا هـذا القول في صفحات الـكتاب القادمة ، مناقشة علمية . . وأوضحنا بما لا يدع مجالاً للشك فساد هذا الزعم .

ولـكن الصهيونية العالمية — في سبيل تحقيق أهدافها — تسلك كل سبيل ؛ وتزيف الحقائق ، وتزور التاريخ . .

وهدف الصهيونية العالمية القريب هو السيطرة على العالم العربي . .

كتب مناحم بيجن زعيم حزب حيروت الإسرائيلي في صحيفة « حيروت » الإسرائيلية بالعدد ٢٣١٥ (عام ١٩٥٦) مقالاً جاء فيه :

[إننا ، نحن اليهود من حقنا ، ومن واجبنا التام المطلق ، أن نقاوم منح الاستقلال للعرب .

هذا فرض ، إنه فرض لا تمليه علينا مصلحتنا الوطنية فحسب ، بل تمليه علينا العدالة الإلهية السماوية .

إن من حقنا أن نؤيد بكل إخلاص ، وبنفوس طاهرة ، حرب

فرنسا فى الجزائر ، لأن الجزائر إذا استقلت ستنضم إلى أعدائنا ، كما فعل السودان .

إن العدالة السماوية معنا ، لأننا عندما عدنا إلى بلادنا لم نسلب شيئاً من العرب ولم نأخذ بالقوة شبراً واحدا منهم .

إن هذه بلادنا ، وليست بلاد العرب ولايحق للعرب أن يسيطروا على هذه الأرض .

إن مبدأنا هو . . . إنه يحل لنا أن نعمل ضد كل شعب يعادينا ، لا لأسباب تتعلق بالمصلحة الوطنية الشخصية فحسب ، بل لأن العدالة السماوية معنا .

إن حدود دولتنا من النيل إلى الفرات ، ويجب أن يعمل كل يهودى لتحقيق قيام دولتنا ، بحدودها التاريخية] .

* * *

إن الصهيونية — تاريخياً وواقعياً — حركة قام بها كبار رجال المال والصناعة من اليهود مستغلين العواطف الدينية لدى عامة اليهود ـ الذين تعرضوا للاضطهادات العنصرية ـ ابتداء من الحروب الصليبية حتى المذابح النازية — للتوطن فى بقعة معينة من العالم يجعلون منها قاعدة لاستغلالهم الاقتصادى ومصرفا للعالم كله يباشرون بواسطته

سلطاتهم الاستثمارية فى جميع أرجاء العالم بصفة عامة وفى المنطقة التى تضم (أرض الميعاد) بصفة خاصة .

ومن هنا كان الارتباط والتفاعل بين الاستعمار العالمى والحركة الصهيونية فى النشأة والحركة والهدف . فقد وجد الاستعمار العالمى فى الصهيونية أداة جديدة ونشيطة ومنظمة لخدمة أغراضه ، ووجدت الصهيونية فى الاستعمار العالمى راعياً على استعداد لإشراكها فى عمليات استغلال الشعوب ونهب ثرواتها .

يؤكد هـذا ، الأحداث التاريخية التى صاحبت نشأة الحركة الصهيونية على أساس تنظيمى منذ مؤتمرها الأول الذى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة تيودور هرتزل ، إذ حذر هرتزل المؤتمر من إصدار قرار سريع بإنشاء (الدولة اليهودية بفلسطين) حتى لا يثير ذلك شكوك الدول الاستعمارية التى كانت يومئذ تتنازع السيطرة بشدة على بلاد الشرقين الأوسط والأدنى . . .

وهى الدول التى تؤيد وتدعم الحركة الصهيونية ماديا ومعنويا .

وفى ١٤ أغسطس عام ١٩٠٣ عرضت بريطانيا على الصهيونية إنشاء وطن قومى لها فى أوغندا حيث كانت بريطانيا تطمع فى إيجاد

قاعدة اقتصادية وعسكرية موالية لها تخدمها فى صراعها مع الاستعمار الفرنسى والأسبانى والبلجيكى فى أفريقيا .

وقد اتجه المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقد فى بال عام ١٩٠٣ إلى قبول العرض البريطانى الجديد ، والتنازل عن تحقيق [الوطن القومى بفلسطين] . ولكن قادة الحركة الصهيونية ما لبثوا أن عادوا فرفضوا العرض حينما رأوا أن قبوله قد صرف عنهم تأييد عامة اليهود المنساقين بسحر الدعاية الدينيــة التى تبشر بفلسطين بالذات كأرض الميعاد لا أوغندا .

ومما يؤكد ارتباط الصهيونية بالاستعمار العالمى هو أنه فى عام ١٩٠٧ تولت وزارة حزب الأحرار برئاسة كامبل بنرمان السلطــة فى بريطانيا ، ولما كان المحافظون يعرفون أن بنرمان يهتم بالشئون الداخلية أكثر من غيرها ، فقد دخلوا معه فى مساومة انتهت باتفاق الحزبين على إطلاق يد الأحرار فى الشئون الداخلية مقابل ترك السياسة الخارجيه فى أيدى الموظفين من حزب المحافظين .

وكان أول عمل قام به المحافظون هو إقناع كامبل بنرمان رئيس الوزراء بتبنى فكرة تشكيل جبهة موحدة من الدول الاستعمارية ذات الأملاك الواسعة والمصالح فى العالم القديم (بريطانيا — فرنسا — بلجيكا

— هولندا — أسبانيا — البرتغال — إيطاليا) على أساس أن صداقتها وتعاونها ضروريان لمصلحة بريطانيا فى إيقاف المد الاستعمارى الألمانى وتنسيق التوسع الاستعمارى البريطانى .

واتفقت الدول السالفة الذكر على تكوين حلف فيما بينها وتأليف لجنة من خبرائها لدراسة الحلف الجديد ، ولم يفوت الإنجليز الفرصة فأعلن كامبل بنرمان عن تأليف اللجنة التى ضمت مشاهير المؤرخين وعلماء الإجتماع والجغرافيا والاقتصاد والبترول والزراعة فى دول الإتحاد ، وحدد بنرمان مهمة اللجنة فى خطاب وجهه إلى الأعضاء جاء فيه ما يلى :

(. . . إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما ثم تنحل رويداً ثم تزول ، والتاريخ ملىء بمثل هـــــذه التطورات ، وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة ، فهناك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، وقبلها بابل وأشور ومصر وغيرها .. فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون السقوط أو الإنهيار أو تؤخر مصير الاستعمار الأوربى ، وقد بلغ الآن الذروة ، وأصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، بينما

العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية . . .

هذه هى مهمتكم ، أيها السادة ، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا) .

وعكف الأساتذة على دراسة تاريخ الأمبراطوريات السابقة فضلا عن وضع الأمبراطوريات الحاضرة ، وكيف يمكن أن تدوم ، ومن أين يمكن أن تأتيها المخاطر ، واستخلصوا خطة المستقبل التى أوصوا بها وضمنوها تقريراً كاملاً ، أحالته وزارة الخارجيـــة إلى وزارة المستعمرات البريطانية لخطورته .

وظل التقرير منسياً حتى قبيل الحرب العالمية الأولى حين نشره صحفى بريطانى صهيونى فى معرض الدفاع عن إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين والاستشهاد بآراء وقرارات الحكومة البريطانية وسادة الاستعمار العالمى على ذلك ، وتبريراً لقيام إسرائيل كضرورة اقتصادية وسياسية واجتماعية للدول الاستعمارية ولمصالحها وسيطرتها فى الشرق .

وقد جاء فى التقرير أن الخطر المهدد يكمن فى البحر المتوسط ، همزة الوصل بين الغرب والشرق وحوضه مهد الأديان والحضارات ، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحـــد

تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللغة والآمال وكل مقومات التجمع والترابط والإتحاد هـــــذا فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية . . .

وتساءل التقرير عن نتيجة دخول الوسائل الفنية الحديثة ومكتسبات الثورة الصناعية الأوربيـــة إلى المنطقة ، وانتشار التعليم ودعم الثقافــة . . .

وأجاب التقرير عن التساؤل السابق فذكر بأنه إذا حدث ماسلف ستحل الضربة القاضية حتما بالإمبراطوريات الاستعمارية ، وبعد ذلك ينتقل التقرير إلى معالجة الوضع فيذكر ما يلى :

أولا : على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة وتأخرها وإبقاء شعبها على ماهو عليه من تفــكك وتناحر وتأخر .

ثانياً : ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى .

واقترحت اللجنة لذلك إقامة حاجز بشرى قوى وغريب على الجسر البرى الذى يربط آسيا بأفريقيا ويربطهما معاً بالبحر المتوسط

بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة .

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى ، جندت الصهيونية قواها العاملة من عامة اليهود للحرب إلى جانب الاستعمار البريطانى ، وراحت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا ذات المصالح مع كبار قادة الحركة الصهيونية ، تنشط لإنشاء (دولة يهـــودية على مقربة من مصر وقناة السويس موالية لبريطانيا) وتسحب بذلك عرض أوغندا ، خاصة وأن أخطار الحركة العربية التحررية ضد الإستعمار البريطانى كانت قد أخذت تتسع وتتزايد وعلى أساس هذه السياسة الجديدة صدر وعد بلفور فى ٢ من نوفمبر عام ١٩١٧ بتأييد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية معاً لإقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، كما اعترف بذلك لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى حينذاك ، وأكد ذلك أيضاً تصريح الرئيس الأمريكى ويلسون الذى قال فيه :

(أنا مقتنع تماماً أن أمم الحلفاء بالإتفاق التام مع حكومتنا وشعبنا قد اتفقت أنه فى فلسطين سيرسى أساس كومنولث يهودى) .

وبدأ الصهاينة يتدفقون على فلسطين تحت حماية قوات الاستعمار البريطانى وبتأييد وتمويل مادى ومعنوى من جميع القوى الإستعمارية

الأخرى . ونظمت جماعات إرهابية مسلحة راحت تقوم بحملات إبادة ضد العرب ، وتقيم مزيداً من المستعمرات العسكرية حتى قامت الحرب العالمية الثانية . وبعد انتهاء هذه الحرب قام الصراع الدامى الرهيب فى فلسطين بين العرب من ناحية والبريطانيين والصهاينة من ناحية أخرى. وأمام اللجنة البريطانية الأمريكية التى جاءت لفلسطين عام ١٩٤٦ بحجة التحقيق فى الحوادث الدامية ، قدمت (الهاجناة) أقوى العصابات الصهيونية العسكرية تقريراً هو وثيقة توضح حقيقة العلاقة بين الاستعمار العالمى والصهيونية وبالتالى إسرائيل .

يقول التقرير :

(نحن نعتبر أن من المفهوم بأن الدولة اليهودية ستؤمن بمعاهدات خاصة الشروط الجوهرية للأمن العالمى كالقواعد الجوية والبحرية والبرية ومصافى البترول وما شابهها .

إن حركة المقاومة تشمل كل يهودى بفلسطين وهى المسئولة عن كل عمل يظهر معارضة لسياسة تصفية الصهيونية . ونحن الذين كنا نلاحق الثوار العرب إلى مخابئهم .

إن حركة المقاومة الصهيونية ليست حركة عدائيه ضد البريطانيين

وليس هناك أى تعارض فى المصالح بيننا وبين بريطانيا العظمى . إن باستطاعتنا مقاومة أى هجوم أو ثورة عربية) .

وعلى هذا الأساس مكن الإستعمار العالمى الصهيونية من أن تقيم إسرائيل عام ١٩٤٨ لتكون قاعدته العدوانية ضد حركات التحرر العربى ، ولتصبح أيضاً مركزاً من مراكز الإستغلال الإقتصادى المشترك للاستعمار الجديد فى آسيا وأفريقيا . . .

* * *

وبعد . . .

فهذا الكتاب يروى تاريخ القدس المدينة المقدسة ، ويؤكد بالأسانيد العلمية والتاريخية أن القدس وبالتالى فلسطين عربية منذ فجر التاريخ .

ويحكى الكتاب قصة اليهود مع أنبياء بنى إسرائيل ، وكيف أن اليهود كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق .

وأخيراً . . يناقش الكتاب الزعم القائل — أن اليهود هم شعب الله المختار ، وأن الله وعد بمنحهم الأرض الممتدة من نهر الفرات إلى نهر النيل ، ويدحض هذا الزعم الزائف بالأدلة المنطقية والعلمية ويوضح

مافاله بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية :

(لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم جميعاً أولاد) .

* * *

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه ، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق ؟

محمود على الشرقاوى

اورشليم .... فى التاريخ

يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً .

[المسيح]

— ١ —

إن تاريخ بيت المقدس يحكى قصة فلسطين التى ذكرت بالتمجيد فى التوراة والإنجيل والقرآن .

هى بيت المقدس أو القدس أو جورو سليم وأصل الأخيرة Ur Salem أى مدينة السلام وهى أصلاً [يوراه سالم] أو رشليم ، ويوراه بمعنى مكان وشالم هو إله السلام .

وقيل عنها أيضاً يوبيس أو جيبوس أى مدينة السلام Peace كذلك وسمى أهلها فى القدم يبوسيين وهم كنعانيون أصلا ، ويسميها اليهود أحياناً « صهيون » باسم جبل صهيون الذى عليه قلعة داود ، وكذلك يدعونها مدينة داود .

يجمع العلماء على أن سكان القدس القدماء جاءوها من الجزيرة العربية فى هجراتهم الكبيرة منها إلى خارج موطنهم الأصلى ، تلك الهجرات التى قاموا بها لأسباب طبيعية أو اقتصادية دفعا للظمأ والتعب أو لأسباب سياسية وهم يذكرون منها هذه الهجرات[(١)] :

(١) تاريخ ملوك غسان تأليف نولدكه وترجمة الدكتور الجوزى والدكتور رزيق

الأولى وقعت فى حوالى ٣٥٠٠ ق . م فنزحت جموع كبيرة من سكان الجزيرة إلى بابل .

ووقعت الثانية فى حوالى ٢٥٠٠ ق . م فهبط الكنعانيون فلسطين ، ونزل فريق آخر من سكان الجزيرة بلاد ما بين النهرين .

وكانت الثالثة فى حوالى ١٥٠٠ ق . م فأخرجت الأراميين إلى العراق وسورية .

وكانت الرابعة هجرة الأسباط العرب فى الفتح الإسلامى .

وهناك — عدا هذه — هجرات كانت تقوم بها إما قبيلة بمفردها أو قبائل متعددة ومتجمعة تخرج من الجزيرة إنتجاعا للكلأ وطلبا للرزق ، وتكاد تنحصر المنافذ التى خرجوا منها من الجزيرة فى أربعة: فهم سلكوا طريق باب المندب إلى الحبشة ، وقطعوا برزخ السويس إلى مصر ، وقطعوا الفرات إلى أرض ما بين النهرين ، واجتازوا الأردن إلى فلسطين وسورية الغربية .

تلك كانت هجرات دائمة منظمة ، وكان إلى جانبها هجرات ورحلات موسمية تقوم بها القبائل فى بعض أيام السنة ثم تعود أدراجها إلى ديارها الأصلية .

وقد جاء بنو جفنة من جنوبى الجزيرة باليمن فى حوالى القرن الأول بعد الميلاد وأقام منهم الرومان حماة لأطراف إمبراطوريتهم . وأسسوا دولة الغساسنة فى الشام وكان منهم الحارث بن جبلة عاهل فلسطين الذى أبلى بلاء حسنا فى قمع ثورة السامريين سنة ٥٢٩ م وأصبحت لهم منزلة سامية جداً فى مراتب الدولة البيزنطية .

يقول كتاب الجغرافية التاريخية للأراضى المقدسة لمؤلفه «وورل»: [إن سكان القدس القدماء جاءوا إلى فلسطين مع هذه الهجرات ، وأقاموا فيها يجاورهم فى أنحاء فلسطين الأخرى الفلسطينيون الذين قطعوا النيل إليها وحاربوا اليهود فيها] .

ونخلص من ذلك كله إلى القول : إن سكان القدس القدماء الذين سبقوا عهد اليهود فيها كانوا عربا جاءوها من الجزيرة العربية على موجات متعاقبة أولاها كانت سنة ٣٥٠٠ ق . م . وأن الكنعانيين والعمارنة [الكسفاسيون والفينيقيون والمؤبيون والأدوميون واليبوسيون . . يعرفون فى التاريخ بالعمارنة] هم الذين سكنوا المدينة قرونا طويلة قبل احتلال الرومان .

وقد كان لسكان فلسطين من الكنعانيين لغة وثقافة خاصة بهم إلا أنهم كانوا قبائل وجماعات كثيرة : فقد اكتشف فى ألواح تل

العمارنة أن أحد الحكام المصريين كتب إلى فرعون مصر وضمن كتابه بعض الكلمات والمصطلحات الكنعانية .

وروى التاريخ أن اليهود أنفسهم حينما هبطوا فلسطين نبذوا لغتهم وكانت نوعا من اللغة الأرامية واقتبسوا من الكنعانيين لغتهم وأخذوا يستعملونها زاعمين أن موسى عليه السلام تكلم بها .

لقد كان الكنعانيون أمة زراعية تعلم منها العبرانيون طراز الحياة المدنية وحياة الاستقرار .

ولما جاء إبراهيم عليه السلام وأقام بيوته فى أرض كنعان — فلسطين — وجد سكان البلاد التى جاء إليها يمارسون حياة الاستقرار .

وكانت القدس مدينة معترفا بها كمها كملك للمقاطعة التى هى فيها ويقدم إليه جميع الأمراء المجاورين لبلاده آيات الولاء وأسباب الاحترام وكانت هذه المدينة مقدسة منذ ذلك اليوم .

— ٢ —

وقد ذكرت مدينة القدس فى الكتاب المقدس بأسماء وصفية منها مدينة الحق ، والمدينة الطاهرة ، ومدينة الله ، والمدينة المقدسة وغيرها وهى على جبل الزيتون التاريخى المشهور .

ويبدأ تاريخ القدس من العصر الحجرى القديم ، فقد بنيت فى العصر البرونزى [٣٥٠٠ ق . م — ٢٠٠٠ ق . م] أى من أول دخول كنعان فى هذه الأرض وأصبحت عاصمتهم .

[وكنعان هو بن حام بن نوح عليه السلام]

وفى العصر البرونزى المتوسط وحد داود الأسباط أو قبائل إسرائيل الإثنىعشر ، وهزم اليبوسيين والفلسطينيين وأسس ووسع مملكة إسرائيل حتى امتدت أرض إسرائيل من دان فى الشمال إلى بير سبع فى الجنوب ، واتخذ من يبوس عاصمة لها بعد أن تحول إسمها إلى أورشليم [١] . وبنى بها قلعة صهيون وبيت الأبطال لحراسه وكذلك قبرا له ولعائلته وقصرا ومعبدا وبذلك جعلها العاصمة الدينية لمملكته .

وقد صاهر سليمان الذى تولى الملك بعد داود ، فرعون ملك مصر وأتى بزوجته إلى مدينة داود وأقام فيها إلى أن أتم بناء بيته وبيت الرب فى أورشليم .

ويستفاد من كتاب تاريخ مصر من أقدم العصور [٢] :

---

(١) الدكتور جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا ص ١٢

(٢) تأليف بريستيد ص ٣٥٧ وما بعدها .

أن الفرعون الذى صاهره سليمان هو شيشق أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وأن هذا الفرعون صعد إلى جازر وأخذها وأحرقها بالنار وقتل أهلها ووهبها لسليمان مهراً لابنته .

ومعنى هذا أن مصر مارست سيادتها على فلسطين فى زمن حكم سليمان ، وقد وصف بريستيد سليمان بأنه كان بمثابة وال تحت السيادة المصرية. وقد جاء فى الإصحاح الثالث من سفر الملوك الأول — أن الشعب فى عهد سليمان كان يقرب ذبائحه على المشارف لأنه لم يكن قد بنى بيت للرب ، وأن سليمان أحب الرب وسلك فى سنن أبيه ولكنه كان يذبح ويقتر على المشارف أيضاً ، وأنه انطلق إلى جبعون ليذبح هناك لأنها كانت هى المشرف الأعظم وأصعد ألف محرقة ، وأن الرب تجلى له فى الحلم وقال له : أطلب فأعطيك . فسأله أن يهبه قلباً فهماً ليتمكن من حكم شعبه والتمييز بين الخير والشر . فأجابه إلى طلبه وقال له : بما أنك لم تطلب لنفسك شيئاً فأنا أعطيك علاوة على ذلك الغنى والمجد حتى لا يكون رجل مثلك فى الملوك ...

ومما جاء فى الإصحاح الرابع أن سليمان كان مالكا على جميع إسرائيل وأنه كان له إثنا عشر وكيلا يختارون له ولبيته بغوية

شهرية ، وأن يهوذا وإسرائيل كانوا كثيرين مثل الرمل الذى عند البحر يأكلون ويشربون ويفرحون .

وأن سليمان كان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخم مصر يحملون إليه الهدايا وخاضعين له كل أيام حياته ، وكان طعامه فى كل يوم ثلاثين كرا من السميذ وستين كرا من الدقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثوراً من المرعى ومئة من الشاة غير الأيائل والظباء واليحامير وسمان الطير ، لأنه كان متسلطاً على جميع عبر النهر من تفساح إلى غزة وكان بينه وبين جميع من يليه سلم وأقام يهوذا وإسرائيل مطمئنين كل واحد تحت كرمته وتينته ، من دان إلى بئر سبع .

وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مراكبه وإثنا عشر ألف فارس .

وأتى الله سليمان حكمة وفهما ذكيا جدا وسعة صدر ففاقت حكمته جميع أهل المشرق وحكمة مصر . وكان أحكم من جميع الناس من أيثان الأزراحى وهيمان وكلكول ودردع بنى ماحول . وشاع إسمه بين جميع الأمم فى كل وجه . وقال ثلاثة آلاف مثل وكانت أناشيده ألفا وخمس أناشيد . وتكلم فى الشجر من الأرز الذى على لبنان إلى

الزوفى الذى تخرج فى الحائط وتـكلم فى البهائم والطير والزحافات والسمك وكان يُرحل إليه من جميع الشعوب لسماع حكمته ومن جميع ملوك الأرض .

وعبارة [كان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين . . .] ثم عبارة [كان متسلطا على جميع عبر النهر من تفساح إلى غزة وكان بينه وبين جميع من يليه سلم] تفيد أن سلطان سليمان كان قاصرا على غرب الأردن بل وتفيد أن الفلسطينيين فى غزة وما بعدها كانوا فى نجوة من هذا السلطان ، وأنه كان فى غرب الأردن عبر النهر — ممالك وملوك لشعوب أخرى كانوا يمارسون سلطانهم المحلى مع هدايا أو جزية يقدمونها لسليمان وحسب ، وهذا يؤكد أن الممالك والشعوب التى كان داود قد أخضعها فى شرق الأردن وسورية الآرامية تفلتت من سيادته كما تفلت منها الفلسطينيون وكان هؤلاء وأولئك يمارسون سيادتهم ولم يتحرش بهم سليمان وكان معهم على وئام وسلام[1] . وفى الإصحاح جملة قد تدل على أن بلاد مملكتى حشبون وبيت شان التى سكنها سبطان ونصف من بنى إسرائيل فى شرق الأردن كانت داخلة فى سلطان سليمان وحكمه حيث ذكر أنه

(١) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ١١٥ .

كان له وكلاء الميرة فيها أسوة بسائر أنحاء غرب الأردن الخاضعة له والمسكونة من أسباط بنى اسرائيل الأخرى .

وقد ذكر الإصحاح السادس أن سليمان بدأ ببناء الهيكل فى السنة الرابعة من ملكه . وذكر الإصحاح السابع أنه أتمه فى السنة الحادية عشرة من ملكه .

وقد ذكر الإصحاح السابع أن سليمان أنشأ بالإضافة إلى الهيكل قصراً فيه قسم لسكناه وآخر للقضاء والحكم وسماه غابة لبنان وأتمه فى السنة الثالثة عشرة من حكمه وأنه أنشأ كذلك بيتاً لزوجته بنت فرعون .

ولقد احتوى الإصحاحان وصفاً للهيكل والقصر ممزوجاً بكثير من الخيال والمبالغة وخاصة فى مقادير الذهب التى وضعت فى الهيكل حتى لكأنه كان سبيكة من الذهب فالمحراب الذى بطول عشرين ذراعا وعرض عشرين ذراعا وسمك عشرين ذراعاً مغشى بالذهب والمذبح القائم أمامه مغشى بالذهب وداخل البيت مغشى بالذهب والسلاسل الممتدة أمام المحراب من الذهب وجميع البيت بتمامه مغشى بالذهب (وهذه عبارة الإصحاح) والكروبين التى سمك كل منها عشر أذرع وكل جناح من أجنحتها خمس أذرع مغشاة بالذهب وأرض

البيت داخلا وخارجا مغشاة بالذهب (وهذه عبارة الإصحاح أيضا) والمصراعان مغشيان بالذهب .

وجميع الأدوات من مذبح ومائدة ومنائر وسرج وأزهار ومقاط وطسوت ومقاريض وجامات وصحون ومجامر ومفاصل مصاريع قدس الأقداس من ذهب خالص ! !

وقد أطنب الإصحاح السابع فى الأعمال والزخارف النحاسية التى قام بصنعها فنان من صور اسمه حيرام استحضره سليمان خصيصا لذلك ووصفه الاصحاح بأنه كان ممتلئاً حكمة وفهما ومعرفة فى كل صنعة من النحاس .

وأسلوب الوصف يوهم أنه من شاهد عيان لسير الأعمال غير أن فى الإصحاح الثامن جملة تدل على أنه متأخر جـــــداً عن ظرف البناء حيث جاء فيها فى صدد وصف موضع التابوت وانبساط أجنحـــــة السكروبين [وهى هناك إلى هذا اليوم] وهذه الأعمال البنائية هى الوحيدة التى وصفت فى الأسفار وأثرت عن جهود ملوك بنى إسرائيل العمرانية . ومهما يـكن من شىء فالوصف يدل على أنها كانت ضخمة فخمة .

وفى الإصحاح الثامن وصف لتدشين الهيـكل امتزج هو الآخر

بالخيال . ومما ذكره الإصحاح أن سليمان جمع عظماء الآباء والشيوخ والرؤساء للاحتفال بنقل تابوت عهد الرب الذى كان فيه لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى فيه فى حوريب حيث عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر ، وأن الكهنة حملوا التابوت وخباء المحضر وكل الأمتعة المقدسة وسار الجميع فى موكب عظيم حتى أدخل التابوت إلى مكانه فى المحراب تحت أجنحة الكروبين ، وأن الكهنة حينما خرجوا من قدس الأقداس — المحراب — ملأ الغمام بيت الرب فلم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب الغمام لأن مجد الرب قد ملأ البيت ، وأن سليمان حينئذ أقبل بوجهه وبارك كل جماعة إسرائيل الذين كانوا وقوفاً وألقى خطاباً طويلاً قدس فيه الرب وشكره على نعمه عليه وعلى أبيه وبيته وعهده وطلب منه أن يستجيب لبنى إسرائيل حينما يدعونه فى هذا البيت فى ضائقة أو قحط أو غزوة عدو ، وأن يغفر لهم ذنوبهم إذا استغفروه فيه ووصى بنى إسرائيل بالإخلاص للرب وحفظ وصاياه ، وذبح فى ذلك اليوم ذبائح السلامة للرب ٣٢ ألف رأس من البقر ، و ١٢٠ ألف رأس من الغنم ، وأقام عيداً عظيما امتد أربعة عشر يوما .

وقد حكى الإصحاح التاسع أن الرب تجلى لسليمان وقال له : إنى

قد سمعت صلاتك وتضرعك وقد قدست هذا البيت الذى بنيته لأجعل اسمى فيه إلى الأبد وستكون عيناى وقلبى هنا كل الأيام . وإذا سرت أنت أمامى كما سار داود بسلامة القلب والاستقامة وعملت بجميع ما أمرتك به وحفظت رسومى وأحكامى ؛ أقر عرش ملكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك وإن عدتم وزغتم أنتم وبنوكم ولم تحفظوا وصاياى ورسومى وعبدتم آلهة غريبة وسجدتم لها فإنى أقرض إسرائيل عن وجه الأرض وأنفى البيت الذى قدسته من حضرتى فيكون إسرائيل مثلا وأحدوثة بين الشعوب ويكون هذا البيت عبرة لكل من يمر به فيقول لماذا فعل الرب كهذا بهذه الأرض وهذا البيت فيجاب لأنهم تركوا الرب إلهم ، مما يلمح فيه كما هو المتبادر الوقائع التى وقعت فى أرض كنعان بعد سليمان وما حل ببنى إسرائيل والهيكل من بلاء وتدمير ...

— ٣ —

انقسمت المملكة بعد سليمان إلى قسمين: يهوذا فى تلال اليهودية، وإسرائيل فى السامرة . واحتفظ الفلسطينيون بالسهول والتلال المنخفضة

بين السهل الساحلى والجبال . واستولى البدو على النقب فى عهد ابن سليمان[1] .

وفى سنة ٧٢٢ ق. م. غزا سرجون الأشورى السامرة ، المملكة الشمالية وتبع ذلك نقل عدد كبير من السكان ، فأخذ الإسرائيليون إلى بابل ، وأسكن مكانهم بعض الأسرى الذين جلبوا من البلاد المقهورة الأخرى وسقطت مملكة يهوذا فى يد الملك الكلدانى نبوخذ نصر ، الذى دمر أورشليم والهيكل سنة ٥٨٦ ق. م. وأسر أبناء الطبقات الراقية ، وترك الفلاحين فى أراضيهم .

وعند ما تولى كورش الحكم فى فارس ، هاجم بابل واحتلها سنة ٥٣٩ ق. م. وكان على اتصال بكورش يهودى ممن سبوا ونقلوا إلى تل أبيب اسمه أشعيا ، وهذا هو أشعيا الثانى ، ويقال إن أشعيا كان عميلاً وجاسوساً لكورش فى بابل ، وليس هذا بالمستغرب طالما أن اليهود كانوا ينظرون لبابل أسوأ النظر ويضمرون لها أشد الحقد والعداء ، فهى سابيتهم وسيدتهم وهم عبيدها وأسراها .

وما أن نجحت حملة كورش على بابل ، حتى أصدر كورش أمره المشهور سنة ٥٣٨ بالسماح لمنفى أورشليم بالعودة إلى بلدهم . ومع أن

---

(١) Ibid, p. 253.

أشعيا كان يظن أن كورش فعل هذا تحقيقاً لعهد يهوه لإبراهيم وداود ، فالحقيقة هى أن كورش لم يكن يأبه لهذه الاعتبارات قط . وكان تفكيره كله سياسياً بحتاً . كان كورش يخشى أن تفاجئه مصر بزحف من جهتها قبل أن يهضم ما كسبه من ممالك .

وبما أن يهوذا فى منتصف الطريق بينه وبين مصر ، وبما أن العنصريين اليهود — وأكثر المنفيين عنصريون شديدو التعصب — لن يتعاونوا مع مصر بل سيقاومونها إذا زحفت ، كان من الضرورى أن يرجع المنفيون إلى أورشليم ويبنوا هناك حصوناً قوية ، ولهذا أصدر كورش أمره بالسماح لهم بالعودة .

ولما لم يستطع اليهود بناء أورشليم وخاب أملهم ، قام أبناء كورش قمبيز ودارا بمساعدة اليهود بالجيش ومال الدولة ، إلا أن حملة الفرس على مصر نجحت سنة ٥٢٥ ق. م. وبعد ذلك لم يعد الفرس يذكرون أورشليم نهائياً .

لقد كان المنفى قصيراً جداً إذ دام ٤٩ سنة فقط ، بيد أنه عصر بكل ما فى هذه الكلمة من معنى نظراً للتطور الكبير الذى أحدثه فى الدين اليهودى .

فالدين اليهودى ، المنفيين اختص بهم واختصوا به ، نشأ فى

المنفى ولم تكن المواد التى نشأ منها هذا الدين جديدة ، فهى كلها قديمة وهذه المواد سبعة هى :

أولا : اختار الله العنصر العبرى ، باختياره شخص ابراهيم ليكون له شعباً كغيره من الشعوب .

ثانياً : أعطى الله ميثاقه لهذا العنصر ، وهو ليس عقداً بل هو عهد أزلى لا ينقض .

ثالثاً : تنفيذاً لهذا الميثاق ، أخرج الله العنصر العبرى من مصر وأنقذه من فرعون ، وأهلك أهل فلسطين من أجله وأسكنه فلسطين وملكه إياها .

رابعاً : اختار الله داود ودفعه إلى ما هو تحقيق للميثاق ، أى إلى إنشاء الدولة الداودية وجدد الله له العهد بأن هذه الدولة الإلهية لن تزول لهذا جعل الله للعنصر المختار ملكاً وأرضاً ودولة هى هذا الملك وهذه الأرض وهذه الدولة .

خامساً : انحرف العنصر العبرى عن الطريق العبرى ، فأفلت منه الملك . فكيف يفلت الملك ومالكه هو الله !

سادساً : على العنصر العبرى أن يتطلع الى استرجاع هذا الملك بكل عقله وقلبه .

سابعاً : ولابد أنه سيسترجعه ، لأنه لم ينحرف كله ، فهناك بقية صالحة ، وبهذا يصدق عهد يهوه بأن ملك العنصر العبرى الذى هو ملكه — لن يزول .

لقد أخـــذ عصر المنفى هذه المواد وذكاها ، ناراً ، وحقداً فى قلوب اليهود وفى هذه الأحوال النفسانية ، جاء أشعياء يتغنى بأمل العودة . .

وأخذ يعمل بجـــــد وحسب تخطيط ، ولا شك أنه أقنع كبار المنفيين بخطة التعاون مع كورش وخيانة بابل كخطوة أولى تجاه العودة . .

وبناء على ذلك فقد أضاف عصر المنفى إلى المواد السبعة مادة ثامنة هى تحويل أمل العودة واسترجاع الملك إلى إرادة فعالة مخططة ... الى عمل ايجابى . .

وليست الصهيونية إلا هذه المواد الثمان . السبعة الأولى ، مواد عقائدية ، والثامنة ، هى المادة العملية ، التى تهدف إلى تحويل ما فى

العقل والقلب إلى حقيقة تاريخية واقعية[1] .

ولنستمع معاً لوصف أشعياء :

[على أنهار بابل هناك جلسنا .
بكينا أيضاً عند ما تذكرنا صهيون .
على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا .
لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ،
ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين : رنموا لنا من ترنيات صهيون .
كيف نُرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة ؟
إن نسيتك يا أورشليم فلتنسى يمينى مهارتها .
وليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك ،
إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى .
اذكر يارب لبنى آدوم يوم أورشليم القائلين :
هدوا هدوا حتى إلى أساسها .

يابنت بابل المخربة ! طوبى لمن يجازيك جزاءك الذى جازيتنا .
طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة[2]]

(١) دكتور إسماعيل راجى الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ص ٧٠ وما بعدها .

(٢) مزامير ، ١٣٧ : ١ ـ ٩ .

[لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد . . . .
اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها سبط ميراثك .
جبل صهيون هذا الذى سكنت فيه .
ارفع خطواتك إلى الخرب الأبدية ..
الكل قد حطم العدو فى المقدس . .
قد زمجر مقاوموك فى وسط معهدك ..
أطلقوا النار فى مقدسك . .
دنسوا الأرض مسكن اسمك .
حتى متى يا الله يعير المقاوم ويهين العدو اسمك إلى الغاية . .
لماذا ترد يدك ويمينك .

أخرجها من وسط حضنك . أفن .. اذكر هذا ان العدو قد عير الرب وشعباً جاهلا قد أهان اسمك . لا تسلم للوحوش نفس يمامتك.

قم يا الله.أقم دعواك.. اذكر تعيير الجاهل إياك اليوم كله[1]]

* * *

كان أشعياء يرى أن كورش اختاره الله كى يخلص اليهود. وكان

---

(١) كما قبله ، ٧٤ : ١ ــ ٢٢ .

يظن أن كورش سيصبح يهودياً ويأخذ على عاتقه قيـــادة الشعب اليهودى وإعلاء شأنه ليصبح قانوناً وسيداً لجميع الأمم كما وعد يهوه لذلك فهو لم ير فى قيام فارس مجرد قيام امبراطورية جديدة ، بل قيام الدولة الداودية نفسها ، ولذلك أيضا اعتز أشعياء بكورش اعتزازاً كبيراً وسماه المسيح ، أى ملك يهوذا المنتظر مسحه بالزيت — أى تتويجه — ملـكاً على أورشليم . وذهب إلى وصفــه ابنا ليهوه ، يصيره وينصره حتى يعيد بناء مجد داود .

ولا بد أن كورش قد أوعز إلى أشعياء بأنه سيصبح يهودياً إذا ما كتب له النصر وأنه سيعمل على تحقيق ما كان يحـــلم به أشعياء وذلك تطميناً لأشعياء كى يعمل كل مافى طاقته وطاقةشعبه لطعن بابل فى عقر دارها أثناء حربها مع كورش . وقد كانت هذهسياسة كورش مع جميع الأمم الأخرى .

أما الداعى إلى هذا الاختيار ، وهذه المعاضدة الإلهية فهو إرجاع المنفيين وتخليصهم ، ثم إعادة بناء مجد أورشليم .

يقول أشعياء :

[وأما أنت ياإسرائيل عبدى .

يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلى

الذى أمسكته فى أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته .
وقلت لك : أنت عبدى اخترتك ولم أرفضك .
لا تخف لأنى معك .
إنه سيخزى ويخجل جميع المغتاظين عليك .
يكون كلا شىء مخاصموك ويبيدون .
تفتش على منازعيك ولا تجدهم .
يكون محاربوك كلا شىء وكالعدم . .
لا تخف يادودة يعقوب ، يا شرذمة إسرائيل . .
أنا أعينك .
يقول الرب وفاديك قدوس إسرائيل .
هانذا قد جعلتك (نورجاً) محدداً جديداً ذا أسنان .
تدرس الجبال وتسحقها وتجعل الآكام كالعصافة .
تذريها فالريح تحملها والعاصفة تبددها وأنت تبتهج بالرب .
بقدوس إسرائيل تفتخر(١)] .

[. . . يقول الرب خالقك ،

يا يعقوب ، وجابلك ، ياإسرائيل .

---

(١) أشعياء ، ٤١ : ٨ – ١٦ .

لا تخف لأنى فديتك ، دعوتك باسمك .
أنت لى . .
جعلت مصر فديتك .
كوش وسبا عوضك .
إذ صرت عزيزاً فى عينى مكرماً وأنا قد أحببتك .
أعطى أناسك عوضك وشعوباً عوض نفسك .
لا تخف فإنى معك .
من المشرق آتى بنسلك ، وفى المغرب أجمعهم .
أقول للشمال أعط وللجنوب لا تمنع .
ايت ِ ببنى من بعيد ، وببناتى من أقصى الأرض ،
بكل من دعى باسمى ولمجدى خلقته وجبلته وصنعته[1]] .
[(أنا الله . .)
القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستبنين ،
وخربها أقيم .
القائل للجة إنشفى وأنهارك أجفف .
القائل عن كورش راعى .

---

(١) أشعياء ٤٣، ١ : ١ — ٧ .

فكل مسرتى يتمم ويقول عن أورشليم ستبنى وللهيكل ستؤسس[1]] .

وينسب أشعياء إلى الله هذه الكلمات التى تفيض عنصرية وتبجحاً بشعب إسرائيل يقول إن الرب قال :

[وقالت صهيون قد تركنى الرب ،

وسيدى نسينى .

هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها .

حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك .

هوذا على كفى نقشتك .

أسوارك أمامك دائماً .

قد أسرع بنوك .

هادموك ومخربوك منك يخرجون .

ارفعى عينيك حواليك وانظرى .

كلهم قد اجتمعوا . .

إنك تلبسين كلهم كحلى وتتنطقين بهم كعروس .

إن خربك وبراريك وأرض خرابك إنك تكونين الآن

(١) أشعياء ، ٤٤ : ٢٦ ـ ٢٨ .

ضيقة على السكان ويتباعد مبتلعوك] .

[هكذا قال السيد الرب . .

ها إنى أرفع إلى الأمم يدى ، وإلى الشعوب أقيم رايتى ،

فيأتون بأولادك فى الأحضان وبناتك على الأكتاف يُحملنَ .

ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك .

بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك .

ويلحسون غبار رجليك . .

وأنا أخاصم مخاصميك .

وأخلص أولادك .

وأطعم ظالميك لحم أنفسهم .

ويسكرون بدمهم

كما من سلاف ،

فيعلم كل بشر إنى أنا الرب مخلصك .

وفاديك عزيز يعقوب[1]] .

وليس من شك أن الصهيونية تستوحى إيمانها بصهيون من هذه الكلمات وهى تعتقد ، كما اعتقد أشعياء ، أن الله ذاته هو الذى يعمل دائباً على عودة المنفيين اليهود أنى كانوا ، محمولين فى الأحضان وعلى الأكتاف إلى أورشليم .

---

(١) أشعياء ٤٩ : ١٤ ــ ٢٦ .

وهناك فى أورشليم ، سيسجد الملوك وشعوبهم أمام إسرائيل وربها ، ويعلنون خضوعهم لقانونها[1] .

* * *

وحينما دب الوهن فى دولة الفرس قضى الاسكندر الأكبر عليها سنة ٣٣٣ ق . م وكان غزو صور وغزة مفضيا إلى دخول اليهود تحت الحكم اليونانى وأصبحوا من رعاياهم فى عهد الاسكندر وحلفائه البطالسة خاضعين لهم أكثر من قرنين من الزمان ولكنهم كانوا يستمتعون بالحرية الدينية مقابل ما يدفعون من الجزية. وكان من اليهود طوائف منعزلة عاشت فى مصر وإيران فى سلام .

وفى سنة ١٦٤ ق . م استولى الثوار اليهود على [أورشليم] وقد عرفت هذه الثورة بثورة المكابيين نسبة إلى ميكابى وهو لقب قائد الثورة ، وقد استطاع أخوه الأصغر من بعده وهو [سيمون مكابى] أن يحالف روما حتى نال من الأمبراطور [ديمتروس الثانى] اعترافا باستقلال اليهود عام ١٤٣ ق . م ثم انحاز اليهود إلى جانب روما القوية فى ذلك العهد القديم .

---

(١) دكتور إسماعيل راجى الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ص ٧٧ .

وفى عام ٦٣ ق . م أثار اليهود الفتنة فى عهد [بومبى] الرومانى فشردهم من فلسطين مرة أخرى ثم احتل الرومان القدس ونشروا دياناتهم فى منطقة المعبد وحاربوا اليهود وعقائدهم حتى انمحى كل أثر لليهود داخل فلسطين وخارجها .

وفى عام ١٣٥ ميلادية أمر الأمبراطور الرومانى « ادريانوس » بتدمير أورشليم فرحل أكثر اليهود عنها وتفرقوا فى مصر وشمال أفريقية وفى أسبانيا وألمانيا وسائر البلاد الأوربية . وحرم عليهم أن يدخلوا القدس إلا فى يوم ذكرى تدميرها مقابل جعل معين ليندبوا ويبكوا أمام جدار الهيكل المهدم وسمى مكان اجتماعهم هذا « بالمبكى » .

— ٤ —

كانت الانحرافات فى الدولتين أكثر من الاستقامة بل كانت تلك هى الأصل ، وهذه هى الاستثناء ، فانتهت الدولتان بسبب ذلك إلى الدمار والبوار ، مترافقتين مع لعنات وتنديدات شديدة على ألسنة أنبياء بنى اسرائيل للملوك المنحرفين والشعب وانذارات قارعة بعذاب الله وبلائه ونكاله جزاء ما اقترفوه .

ذكر الأصحاح الثانى عشر من سفر الملوك الأول - أن يربعام بنى شكيم فى جبل افرائيم ، ثم خرج من هناك وبنى فنوئيل . وقال فى نفسه إذا صعد الشعب إلى أورشليم ليذبح فى بيت الرب ترجع قلوبهم نحو رحبعام ويقتلوننى . فاستشار وعمل عجلين من الذهب . وقال للشعب لا حاجة لكم بالصعود إلى أورشليم فهذه آلهتكم التى أخرجتكم من مصر وجعل أحدهما فى بيت إيل - فى منطقة نابلس اليوم - والآخر فى دان - فى شمال فلسطين - فكان أفراد الشعب يذهبون إليها وبنى بيت المشارف وأقام كهنة فى لفيف الشعب ليسوا من اللاويين وأقام عيداً فى كل من دان وبيت إيل وذبح للعجلين .

وهكذا دشن يربعام عهده بانحراف دينى خطير تفاديا من السماح لشعبه من الذهاب إلى أورشليم فاستجاب الشعب له . وقد كان هذا عثرة ؛ وكان إثم بيته وعلة إبادته واستئصاله عن وجه الأرض على ما ذكره الاصحاحان الثانى عشر والثالث عشر .

والمستفاد من العبارة أن أسباط بنى إسرائيل العشرة استجابت لتوجيه يربعام . . غير أن الاصحاح الحادى عشر من أخبار الأيام الثانى ذكر أن الذين وجهوا قلوبهم لالتماس الرب إله إسرائيل منهم كانوا يأتون إلى أورشليم ليذبحوا فيها وعاضدوا مملكة يهوذا وآزروا

رحبعام بن سليمان ثلاث سنين لأنه سار فى طريق داود وسليمان ثلاث سنين .

وذكر الاصحاح أيضاً أن الكهنة اللاويين الذين كانوا فى دولة إسرائيل الذين خلعهم يربعام وجعل محلهم كهنة من لفيف الشعب تركوا أملاكهم ومحاجرهم ونزحوا إلى دولة يهوذا .

على أن العبارة التى ذكرت ذهاب المستقيمين من دولة إسرائيل إلى أورشليم تفيدأن الذين ذهبوا هم أقلية ضئيلة .

وقد ذكر الاصحاح الرابع عشر أن يربعام أرسل امرأته إلى نبى اسمه أخيا بسبب مرض ابنه فحملها هذا رسالة بلسان الرب فيها تنديد بفعله وانذار له جاء فيه :

[إنى جالب على بيت يربعام الشر وقارض ليربعام كل بائل بحيط ومنقص بيته حتى يفنوا ومن مات منهم فى المدينة تأكله الكلاب وفى الصحراء تأكله الطيور] .

وخلف يربعام ابنه ناداب فصنع الشر وسلك طريق أبيه فسلط الله عليه بعشا وضربه وقتله وملك مكانه وقتل كل نسمة من بيت يربعام حسب كلام الرب لأجل خطايا يربعام التى أثم بها وأثم اسرائيل على ما جاء فى الاصحاح الخامس عشر من السفر المذكور .

والخبر ينطوى على حادث تمرد داخلى فى دولة اسرائيل هو الأول من نوعه بعد تمرد يربعام على رحبعام وقد تكرر كثيراً ، ويعشا هو من سبط يساكر وكان ناداب محاصراً مع قواته لمدينة جبتون الفلسطينية حينما ثار عليه بعشا . وقد اتخذ هذا مدينة ترصة عاصمة له دون السامرة ويبدو أنه فعل هذا زيادة فى التوقى وظل بعشا سائراً على طريقة يربعام المنحرفة فى أمر العجلين وإقامة الطقوس والأعياد الكبرى عندها . وقد أنذره الرب بلسان النبى ياهو باستئصال ذريته على ما جاء فى الاصحاح السادس عشر . ثم ذكر الاصحاح خبر ثورة قائد اسمه زمرى على إيلة بن بعشا تسليطا من الرب وتنفيذاً لوعيده ودخل عليه وقتله بينما كان يسكر ، وجلس مكانه وضرب جميع بيت يعشا وأباده بسبب ذنوب بعشا وابنه إيله. وهذا هو التمرد الانقلابى الثانى . وكان فى ظروف حصار جيش اسرائيل لمدينة جبتون أيضاً . ولكن زمرى لم يحكم إلا سبعة أيام حيث نادى الجيش بقائده عمرى ملكا وتحول من جبتون إلى ترصة وحاصر فيها زمرى فأحرق هذا القصر وهو فيه مفضلاالانتحار حرقاً على التسليم . وقد قال الاصحاح ان هذا كان عقوبة له من أجل خطاياه التى ارتكبها ومسيره فى طريق يربعام وخطيئته . وقدانقسم

الشعب حيث أيد فريق منه شخصاً اسمه تبنى وأيد فريق أخر عمرى وكانت الغلبة لهذا فى النهاية .

بقى عمرى فى ترصة ست سنين ثم ابتاع جبل السامرة وبنى عليه مدينة سماها شامر واتخذها عاصمة ، وقد صنع الشر وكان أكثر شراً من جميع من تقدمه وسار فى طريق يربعام وإثمه على ماذكره الإصحاح السادس عشر من سفر الملوك الأول — ولكنه مات مع ذلك بدون عقوبة ! !

وخلفه إبنه آخاب ، وصنع هو الآخر الشر أكثر من جميع من تقدمه (٤٥٠ ق .م) على ما ذكرته الإصحاحات من السادس عشر إلى التاسع عشر من سفر الملوك الأول ومما جاء فى هذه الإصحاحات فى سياق عجيب فيه كثير من الخيال ان ايزابيل طاردت أنبيـــاء الرب حتى قرضتهم ولم ينج منهم إلا من اختفى وأن نبياً اسمه إيليا جاء إلى آخاب ووبخه وأنذره بلسان الرب فغضب عليه آخاب وقال له : أنت مقلق اسرائيل فأجاب : إنه أنت وأبوك بترككم وصايا الرب واقتفائكم البعليم ؟ وحاول آخاب قتله ففر من وجهه ، ونفذ الرب وعيده فمنع المطر والندى عن اسرائيل فكان جوع شديد . ثم ظهر إيليا وجاء الى آخاب وطلب منه دعـــوة جميع اسرائيل الى

جبل الكرمل وأنبياء البعل الأربعمائة والخمسين وأنبياء العشتروت الأربعمائة الذين يأكلون على مائدة ايزابيل مع الأنبياء المختفين . فلبى طلبه ولما تم الجميع خاطبهم إيليا منددا : الى متى تعرجون بين الجانبين ، فإذا كان الرب الهكم فاتبعوه وان كان البعل فاتبعوه ، ثم قال لنأت بثورين ونقطعهما ونضعهما على الحطب ، وأنا أدعو وأنبياء البعل يدعون فأيهما يستجيب اليه الرب ويورى النار يكون هو الحق فقبلوا وبدأ أنبياء البعل بالدعاء والاستنجاد وكانوا يضربون أجسامهم بالسيوف حسب عادتهم حتى سالت دماؤهم . وذهب كل جهدهم سدى .

ثم تقدم إيليا ورتب المذبح والحطب واللحم وأخذ يهتف باسم إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل فهبطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة حتى لحست الماء الذى فى القناة . وحينئذ أمر إيليا الشعب بأن يقبضوا على أنبياء البعل ، ولا يفلتوا أحداً منهم ،وأخذهم إلى نهر قيشون فذبحهم فلم تلبث السماء أن امتلأت بالسحب وأخذ المطر ينهمر منها .

وجاء فى الإصحاح التاسع عشر أن أخاب وإيزابيل ظلا على ماهما عليه وأن إيزابيل أقسمت على قتل إيليا انتقاماً لأنبيائها مما جعله يفر من وجهها .

ومع كل ما فعله أخاب وزوجته وارتكسوا فيه ومع كل ما كان من نذر الرب له فإن هذا لم يمنع الرب على مازعمه الإصحاح العشرون من إرسال نبي إليه يطمئنه بالنصر على بنهدد ملك أرام حينما زحف عليه هو والملوك الإثنان والثلاثون خلفاؤه وينصره فعلاً بعـــدة قليلة جداً .

ومن طرائف ماجاء فى سياق ذلك أن الرب — استاء من أخاب لأنه صالح ملك أرام ولم يقتله وأنذره قائلا: بما أنك أطلقت رجلاً قد أبسلته — يسرت لك قتله — فنفسك تكون بدلا من نفسه وشعبك بدلا من شعبه . . .

وفى كل هذا من التناقض والخيال مافيه .

إن دولة إسرائيل ملوكاً وشعباً انحرفوا منذ البدء وظلوا منحرفين وأن الانقلابات فيها تعددت وكانت تؤدى إلى سفك الدماء وإبادة أسر مالكة برمتها فى سبيل الحكم والسلطان كما أن الدولة ظلت عرضة لغزوات خارجية ولم يكد يسجل لهـــا استقلال واستقرار إلا حقباً قصيرة .

وقد احتوى الإصحاح السابع عشر تعقيباً قوياً تضمن التنديد بإسرائيل وآثامها التى أدت إلى الانهيار فجاء فيه :

(وكان بنو إسرائيل قد خطئوا إلى الرب إلههم الذى أخرجهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى وجروا على سنن الأمم التى طردها الرب من وجه بنى إسرائيل وعلى ماسنته ملوك إسرائيل ، وعمـــل بنو إسرائيل فى الخفاء أموراً غير مستقيمة فى حق الرب إلههم وابتنوا لهم مشارف فى جميع مدنهم من برج الحراس إلى المدينة المحصنة وأقاموا لهم أنصاباً وغابات على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء ، وقتروا هناك مثل الأمم الذين جلاهم الرب من وجههم وفعلوا أفعالا سيئة لإسخاط الرب . وعبدوا الأصنام التى قال لهم الرب عنها لاتفعلوا هذا الأمر . فأشهد الرب على إسرائيل ويهوذا على ألسنة جميع أنبيائه وكل راء قائلا : توبوا عن طرقــكم السيئة واحفظوا وصاياى ورسومى على حسب جميع الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى آتيتــكم إياها على ألسنة عبيدى الأنبياء . فلم يسمعوا وصلبوا رقابهم مثل رقاب آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم . ورذلوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم والشهادات التى أشهدها عليهم واقتفوا الباطل وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حواليهم ممن أمر الرب أن لايفعلوا مثلهم . وتركوا جميع وصايا الرب إلههم ، وصنعوا لهم عجلين من المسبوكات . وأقاموا غابا وسجدوا لجميع جند

السماء وعبدوا البعل وأجازوا بنيهم وبناتهم فى النار وتعاطوا العرافة والفأل و باعوا أنفسهم لعمـــل الشر فى عينى الرب لأجل إسخاطه فغضب الرب جداً على إسرائيل ونفاهم من وجهه . ولم يبق إلا سبط يهوذا فقط .

ويهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب إلههم وسلــكوا فى سنن إسرائيل التى سنوها فرذل الرب جميع ذرية اسرائيل وأذلهم وأسلمهم الى أيدى الناهبين حتى نبذهم من وجهه لأنه شق اسرائيل عن بيت الرب وأوقعهم فى اثم عظيم وجرى بنوا اسرائيل على جميع خطايا يربعام التى صنــــع ولم يحولوا عنها حتى نفى الرب اسرائيل من وجهه) .

— ٥ —

أرسل كسرى ملك الفرس قائده « خوريام » لفتح بيت‌المقدس فى السنة الخامسة من حكم هرقل الأمبراطور وهى سنة ٦١٥ بعــد الميلاد . وكان ذلك بعد أن استولى الفرس على دمشق وقيسارية ، فأرسل خوريام الى أهل بيت‌المقدس يدعوهم الى تسليم المدينة فاستجاب اليهود لدعوته وغلبوا النصارى على أمرهم وأسلموا المدينــة الى قواد الفرس .

وما هى إلا شهور قليـلة بعد ذلك حتى انقض المسيحيون على الفرس فقتلوا قادتهم وملـكوا الأمر على الجنود المرابطة وأغلقوا أبواب المدينة .

وعندما جاء « شاه — ورز » وحاصرهم ساعده اليهود على هدم الأسوار ، فاستطاع جنوده أن يدخلوا المدينة فى اليوم التاسع عشر من مجيئه وكان دخولهم من ثقب أحدثوه فى الأسوار وأخذوا المدينة عنوة ؛ وأعقب ذلك مشهد لا مثيل له .. فى البشاعة والنهب والتدمير . فبلغ عدد القتلى ٥٧٠٠٠ وعدد الأسرى ٣٥٠٠٠ وكان بينهم آلاف كثيرة من الرهبان القديسين والراهبات ؛ وبعـد أن قضى الفرس فى المدينة واحداً وعشرين يوماً فى القتـل والنهب خرجوا منها وأوقدوا فيها النار ، فخربت بذلك كنيسة القبر المقدس وسواها من البيع العظمى التى بناها قسطنطين ، وكان ذلك فى شهر مايو سنة ٦١٥ بعد الميلاد .

وحدث أن نجا من القتل راهب اسمه « مودستوس » فهرب إلى الجنوب عندما نزلت ببيت المقدس كوارث السيف والنار ثم عاد بعد فترة من الزمن وأخذ يجوب أرض فلسطين طالباً المعونة على إعادة بناء الـكنائس المخربة فنجح فى مسعاه ، وجمع مبلغاً كبيراً من المال حمله معه إلى المدينة .

فوجد أن اليهود خسروا مكانتهم عندالفرس وأصبحت الحظوة للمسيحيين وأقاموا « مودستوس» حاكما دنيويا ورئيسا دينيا وأتيح له إعادة بناء الكنائس وأمر كسرى بالإحسان إلى الأسرى وإعادتهم إلى أوطانهم وأجاز للناس إخراج اليهود من بيت المقدس فتسابقوا إلى نفاذ أمره بطردهم وتشتيتهم جزاء لهم على ماقدمت أيديهم من التنكيل بالنصارى حين أسلموا مدينتهم إلى قادة الفرس .

— ٦ —

فتح العرب القدس فى سنة ٦٣٨ م عندما دخلوا الشام وطلب أهلها المسيحيون أن يحضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنفسه ليتسلمها فحضر وأمنهم على كنائسهم .

وهذا نص عهد عمر كما رواه الطبرى :

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل بيت المقدس من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ؛ إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم) .

وقد حضرت عمر الصلاة فدعاه المسيحيون لأن يؤديها فى كنيسة القيامة فاعتذر فقد خشى إن هو صلى فيها أن يستبيحها المسلمون من بعده فتصبح مسجداً . كذلك وقع عمر صكا كطلب البطريرك (صوفر وينوس) بألا يسمح لأحد من اليهود بالسكنى معهم وإن كان قد سمح لهم بزيارتها[1] .

وقد بنى عمر فى القدس المسجد الجامع على خرائب (معبدجو بيتر) ثم أعاد عبد الملك بن مروان الأموى بناء المسجد .

وقد جاء فى كتاب « الفتح القسى فى الفتح القدسى[2] » فى ذكر فتح بيت المقدس ووصفه ما يلى :

« والإسلام يخطب فى القدس عروساً . ويبذل لها فى المهر نفوساً ويحمل إليها نعماً ليحمل بؤساً ، ويهدى بشراً ليذهب عبوساً . ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعدية لأعدائها على أعدائهـا . وإجابة دعائها . وتلبية ندائها . واطلاع زهر المصابيح فى سمائها . وإعادة الإيمان الغريب منها إلى وطنه ، ورده إلى سكونه وسكنه .

(١) حامد صالح : اليهود حول ماضيهم وحاضرهم ص ١٦٤ .
(٢) تأليف عماد الدين الكاتب الأصفهانى . ص ٣٧ ــ ص ٤٠ .

واقصاء الذين أقصاهم الله بلعنة من الأقصى وجـــذب قياد فتحه الذى استعصى .

وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى والمسجـد الأقصى المؤسس على التقوى . وهو مقام الأنبياء ، وموقف الأولياء ، ومعبد الأتقياء ، ومزار ابدال الأرض وملائكة السماء . ومنه المحشر والمنشر . ويتوافـد إليه من أولياء الله يعـد المعشر المعشر . وفيه الصخرة التى صينت جـدة أبهاجها من الأبهاج . ومنها منهاج المعراج . ولها القبة الشماء التى على رأسها كالتاج وفيه ومض البارق ومضى البراق . وأضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فى الآفاق . ومن أبوابه باب الرحمة الذى يستوجب داخله إلى الجنة بالدخول الخلود . وفيه كرسى سليمان ومحراب داود . وله عين سلوان التى تمثل لواردها من الـكوثر الحوض المورود . وهو أول القبلتين ، وثانى البيتين ، وثالث الحرمين . وهو أحد المساجد الثلاثة التى جاء فى الخبر النبوى أنها تشد إليها الرحال . ويعقد الرجاء بها الرجال .

ولعل الله يعيده بنا أحسن صورة ؛ كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه فى أول سورة ، وقال عز من قائل :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحـــرام إلى المسجد الأقصى » .

وله فضائل ومناقب لا تحصى ، وإليه ومنه كان الاسراء ، ولأرضه فتحت السماء ، وعنه تؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأوليـاء . ومشاهد الشهداء ، وكرامات الـكرماء ، وعلامات العلمـاء . وفيه مبارك المبار ، ومسارح المسار ، وصخرته الطولى ، القبلة الأولى ، ومنها تعالت القـدم النبوية وتوالت البركة العـلوية . وعندها صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبيين ، وصحب الروح الأمين وصعد منها إلى أعلى عليين . وفيه محراب مريم عليهـا السـلام الذى قال الله فيه : « كلما دخل عليها زكريا » . ولنهاره التعبد ولليله المحيا » .

وقد بدأت القدس تفقد أهميتهـا عندما قامت الدولة العباسـية واختارت بغداد عاصمة لها (حوالى سنة ٧٥٠) .

وفى عام ١٠٩٩ عندما جاء الاستعمار الغربى المقستر بالصليب إلى الشرق ، أنشأ الصليبيون الدولة اللاتينية ، وجعل جودفرى دى بولون القدس عاصمة لتلك الدولة .

وفى عام ١١٨٧ استولى عليهـا صلاح الدين الأيوبى بعد معركة

حطين وبقيت فى أيدى العرب مرة أخرى عدا فترة قصيرة فى القرن الثالث عشر حين أغار عليها الصليبيون ثم أجبروا على تركها .

أصلحها المماليك بعد ذلك وحسنوا وسائل مياه الشرب فيها ، وبعد ذلك جاءت الدولة العثمانية فأهملها العثمانيون ، وخربت أغلب مبانيها القديمة .

وفى سنة ١٩٤٧ اقترحت الأمم المتحدة تدويل القدس (مع مشروع تقسيم فلسطين) .

ولكن العرب ثاروا احتجاجاً على هذا القرار واستمر العرب فى ثورتهم حتى قامت حرب فلسطين فى ١٥ من مايو سنة ١٩٤٨ وانتهت بالهدنة فى ربيع سنة ١٩٤٩ واضطر اليهود إلى إخلاء منطقتهم فى القدس القديمة واحتلوا الجديدة .

قتلة الأنبيـــاء

« إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ، أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » .

[قرآن كريم]

— ١ —

بعث الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام نبياً إلى بنى إسرائيل ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم . .

وقد من الله العلى القدير على بنى إسرائيل ، فأنجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب . . يذبحون أولادهم ويستحيون نساءهم . . وفلق الله سبحانه لهم البحر حتى ظهرت اليابسة فمشوا عليها .

وعندما جاوز بنو إسرائيل البحر وساروا فى سيناء أرض عبادة إله القمر سين ، ورأوا تماثيل الآلهة وكيف يذبح القوم لتلك الأصنام ويسجدون لآلهة يرونها ، جاءوا إلى موسى وقالوا له :

ـ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة .

فغضب موسى غضباً شديداً وقال لهم :

ـ إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ؟

وسار موسى ببنى إسرائيل صوب الأرض المقدسة ، إنه لا يستطيع أن يدخلها حتى يقاتل أهلها فقال :

ـ يا قوم أذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين.

قالوا :

ـ يا موسى إن فيها قوماً جبارين . وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فأنا داخلون .

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما :

ـ أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .

قالوا :

ـ يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون .

قال :

ـ رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين .

قال :

ـ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين .

وبقى بنو إسرائيل فى التيه فى صحراء سيناء القاحلة وراحوا يبحثون عن الماء فلم يجدوه ، فجاءوا إلى موسى يفزعون إليه ، فاستسقى موسى لقومه فقال له الله :

ـ اضرب بعصاك الحجر .

فتفجرت منه عيون بقدر عدد قبائلهم ، وكانوا اثنتى عشرة قبيلة فجرى لكل منها جـــدول خاص يأخذون منه حاجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم . وأحسوا الجوع فهرعوا إلى موسى يلتمسون الطعام فدعا موسى ربه أن يطعمهم فساق إليهم أسراب المن والسلوى.

وضجر كثير من بنى إسرائيل بحياتهم الجديدة وقالوا :

ـ يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .

فغضب موسى وقال لهم :

أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم .

* * *

وذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة ، فلما أتمها بعشر وانقضت تلك الليالى ولم يعد جاء السامرى وقال لهم :

ـ إن موسى قد احتبس عنكم ، إنه ليس براجع إليكم فينبغى لكم أن تتخذوا إلهـاً .

وفكر بنو إسرائيل فيما يقول السامرى فوجدوه يصادف هوى فى نفوسهم ، فقد طلبوا من موسى من قبل أن يجعل لهم إلهاً كما للاقوام الذين مروا بهم آلهة ولكن موسى رفض. وها هو ذا موسى قد ذهب فما الذى يحول بينهم وبين اتخاذ إله لهم ؟

وجاءهم السامرى بعجل له خوار صنعه من الذهب ، واجتمع القوم يعبدونه والسامرى يقول لهم :

ـ هذا إلهكم وإله موسى فنسى .

فقال لهم هارون :

ـ يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى.

قالوا :

ـ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .

ورجع موسى إلى قومه غضبان آسفاً ، وسمع أصوات عزف ،

فانطلق إلى الصوت فإذا ببنى إسرائيل يرقصون ويغنون حول العجل فقال فى غضب :

— بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم .

وألقى الألواح وقال :

— ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ؟ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى .

وقال موسى لهارون :

— ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى ، أفعصيت أمرى ؟ ؟

قال :

— يا ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين .

وقال موسى :

— هل قاتلتهم إذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم ؟

قال :

— يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى .

قال موسى :

ـ رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين . .

وسأل موسى السامرى :

ـ ما خطبك يا سامرى ؟

قال :

ـ بصرت بما لم يبصروا به ، بصرت بجبريل فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها على العجل وكذلك سولت لى نفسى .

قال :

ـ فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لا مساس ، وإن لك موعداً لن تخلفه ، وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً .

ونسف موسى العجل وقال لقومه :

ـ إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علماً .

وأطرق بنو إسرائيل خجلا فقال لهم موسى :

ـ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم .

ورأى بنو إسرائيل أن يستغفروا ربهم فكلموا موسى ، فاختار موسى سبعين رجلا من علماء بنى إسرائيل وانطلقوا ليعتذروا عن بنى إسرائيل ، واقتربوا من الجبل .

فصعد موسى يكلم ربه وصعد بنو إسرائيل يسمعون .

وجعل موسى يعتذر عن عبادة العجل ، ثم رجع إلى بنى إسرائيل فقالوا له :

— ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .

فانقضت عليهم صاعقة من السماء فماتوا جميعاً ، فقال موسى لربه :

ـ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

قال :

— عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء .

وظل موسى يناجى ربه حتى بعثهم من بعد موتهم .

تآمر بنو إسرائيل على موسى وهارون ، ودبروا إنقلاباً ثورياً بقيادة قورح بن يصهار .

(أخذ قورح بن يصهار بن لاوى وداثان وأبيرام ابنا ألياب

وأون بن فالت بنور أو بين يقاومون موسى مع أناس من بنى إسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوى إسم ، فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما . إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب ؛ فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب[1] ؟

كانت هذه بداية المؤامرة التى أضمرها الخارجون على موسى وهارون ، بيد أن الله العلى القدير عجل لهم العذاب وأنزل عليهم العقاب (وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة[2]) .

وعلى مايبدو فإن المؤامرة كانت جماعية ، يقرها جميع بنى اسرائيل الذين أتوا موسى مجتمعين (تذمر كل جماعة بنى إسرائيل فى الغد على موسى وهارون قائلين : أنتما قتلتما شعب إسرائيل[3]) .

وأراد الله أن ينصر الذين نصروه ويحق القول على بنى إسرائيل فقد قال لموسى وهارون (أطلعا من وسط هذه الجماعة فإنى أفنيهم بلحظة[4]) .

---

(١) سفر العدد ١٦ : ١ — ٣٠
(٢) سفر العدد ١٦ : ٣١ — ٣٢
(٣) سفر العدد ١٦ : ٤١
(٤) سفر العدد ١٦ : ٤٤ — ٤٥

لقد أفنى الله من بنى إسرائيل بعد حادثة قورح أربعة عشر ألفاً، وكانوا هم الرجال المعدون للحرب حيث جاء فى التوراة أن الذين كان سنهم عشرين سنة فأكثر ماتوا بسبب الأوبئة (أربعة عشر ألفاً عدا الذين ماتوا بسبب قورح[1]) .

وحكم على الباقى الذين نجوا بالتيه فى الأرض لمدة أربعين سنة .

ومضت السنوات : فمات هارون وموسى عليهما السلام .

ودخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة بعد أن انقضت سنوات التيه .

— ٢ —

أصبح المجتمع اليهودى – إن جاز هذا التعبير – نهباً لتقاليد خالطها الكثير من العفن ، والنفاق ، والانتهازية ، مما جعل الأنبياء يكثرون وتكاد صيحاتهم المنذرة ، تزحم جو السماء .

وقد أراد اليهود الذين استولوا بدهائهم ونسائهم على ملوك فارس أن تكون لهم الكلمة العليا فى أورشليم ، فأخذوا يزينون للملك ارتخششتا أن يسمح بعودة عزير فى ألف وخمسمائه يهودى ممن شبوا

(١) سفر العدد ١٦ : ٤٨ — ٤٩

فى أرض السبي إلى أورشليم ، ليمكنوا لسلطان فارس فى الأرض المقدسة .

وعاد عزير والذين معه إلى بيت المقدس ، وكان عزير يحمل التوراة ، التى أعيدت كتابتها فى بابل بعد أن أحرق نبوخذ نصر كل نسخ التوراة .

وقد تأثرت التوراة التى كتبها أحبار اليهود فى أرض السبي بأساطير البابليين ، يقول جوستاف لوبون فى كتابه «اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى» :

(إن قصص الكتاب المقدس قد نقلت عن أساطير الكلدانيين التى وردت فى النصوص الأشورية فأصبحت القصص التى كانت خرافات لم تحدث فى تاريخ كلدة أوقعها صحيحة خيال بنى إسرائيل وأثبتوها بأنها حدثت بالفعل معهم . من ذلك قصة شمشون الهرقل اليهودى) .

ويقول أيضاً : (وأثبت المؤرخون أن الديانة اليهودية ما هى إلا جملة المذاهب الكلدانية وانتحلها هذا الشعب فهى مشتقة من معتقداتهم) .

ويقول المسيو رينان : إن كاتبي التوراة لم يخترعوا الأقاصيص

الرائعة فقط بل عملوا على ألباسها ثوب الحقيقة الواقعة ودمغوها بطابع التقديس لتتمكن من عقول البسطاء .

وما كان الناس يرونه غريباً خرافيـــاً من أقاصيص تاريخ الـكلدانيين بدت أمام البسطاء أنها أقاصيص واقعية حدثت لقضاتهم وأنبيائهم فتحاشوا تـكذيبها خشية وصمهم بالـكفر والإلحاد وغضب الـكهنة . من ذلك قصة شمشون التى وردت فى سفر القضاة إصحاح ١٣ وما بعده . فما تاريخ شمشون إلا قصة هركول « هرقل » البابلى الأصل مجددة باسم شمشون وكان هرقل ذا قدرة غريبة ويأتى بأفعال عجيبــة ببساطة . وأما إسم شمشون فترجمة لـكلمة الشمس أى نصف الإله) .

راحت التوراة الجديدة تروى تاريخ اليهود ، ولما كان اليهود يومئذ أذلة ملطخين بالعار فقد ألصقوا بالرسل والأنبياء كل نقيصة ، وجعلوهم يشربون الخمر ويرتـكبون الفواحش ويضطجعون مع بناتهم ولا يتورعون عن الـكذب والزنا وإتيان الفسوق ! !

وقصصهم فى هذا المجال كثيرة ، وذكرت فى التوراة مراراً ، ولم يكن تمسكهم بالفضيلة معروفاً بل فى زمن من الأزمان تركوا إلههم وعبدوا آلهة الصوريين [فى صور] فهى تلائم طبعهم وهى عشيرا

[أو عشرتوت أو عشتارتا وفى بابل هى عشتار] .

فقد كان لها حظوة كبرى عند الإسرائيليين فتقام لهـذه الآلهة (أو الإله) هياكل على تلال ذات هواء منعش وتحاط هذه الهياكل بغاب الزيتون وتتجمع فيهـا النساء لقضاء متعات المؤمنين ! ! الذين يتزاحمون على هذه الهياكل تقرباً إلى الإله !

ثم تحولت هذه العبادة من تداولها مع العاهرات إلى تداولها مع الشبان من ذوى الشذوذ الجنسى يبيعون أجسادهم للمؤمنين !

وقال يهوه يخاطب الطائفة اليهودية :

[اتكلت على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت فواحشك على كل مجتاز له ما تبتغين وأخـذت من ثيابك فصنعت لك مشارف ملفقة الشقق وزنيت فيها زنى لم يكن ولا يكون] .

وقد وصف حزقيال هذا المجتمع اليهودى ونظمه وصفاً دقيقاً بأنه (نظام رعائى مع طبائع المدن الأسيوية الهرمة وذوقها وعيوبها وخرافاتها) .

كان اليهود فى فلسطين فى شوق ملح إلى التوراة ، فلما جاءهم عزير بمـــا كتب فى أرض السبى فتنوا به حتى أنهم قالوا : عزير بن الله ! !

واليهود، يمنحون أنفسهم من الامتيازات مايجعلهم فوق البشر، ثم هم يعيشون فى دائرة مغلقة، منطوية.

وهم «فى أورشليم» يشكلون (بنكا) جشعاً، يعبد المال، ويحتكر الثروة، ويضرب الفقراء والمحتاجين بسياط الربا والاستغلال والجشع...

وإنهم ليبلغون فى غرورهم الأحمق المدى الذى يقولون عنده: «إن الله فقير ونحن أغنياء»!

فى سفر حزقيال اصحاح ٢٢ فقرة ٦:

(هوذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم. فيك أهانوا أباً وأماً فى وسطك عاملوا الغريب بالظلم.

فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة.

وازدريت أقداسى ونجست سبوتى.

كان فيك أناس وشاة لسفك الدم وفيك أكلوا على الجبال.

فى وسطك عملوا رذيلة.

فيك كشف الانسان عورة أبيه.

فيك أذلوا المنجسة بطمثها .
إنسان فعل الرجس بامرأة قريبة .
إنسان نجس كنته برذيلة .
إنسان أذل فيك أخته بنت أبيه .
فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم .
أخـــذت الربا والمرابحة وسلبت أقرباءك بالظلم ونسيتنى يقول السيد الرب .
أنا للرب تكلمت وسأفعل . .
وأبددك بين الأمم وأذريك فى الأراضى وأزيل نجاستك منك .
وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم وتعلمين أنى أنا الرب)
ويقول المسيح لهم .
(يا أولاد الأفاعى . كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار) .
ثم قال لتلاميذه ،
[إن الـكتبة والفريسيين جالسون على كراسى موسى فمهما قالوا لـكم فاحفظوه واعملوا به ، وأما مثل أعمالهم فلا تعملوا ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون . كل أعمالهم رياء أمام الناس]

لقد قتلوا أنبياءهم ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ، استكبروا ففريقاً كذبوا ، وفريقاً يقتلون .

إن فى أعناقهم وأيديهم بقع كبيرة من دم « زكريا » ومن دم « يحيى » ومن دماء زاكية لأنبياء وشهداء كثيرين .

واليهود ، وإن تظاهروا بالغيرة على الشريعة ، لا يضعون شيئاً من حقائقها موضع التنفيذ . فالذى يعنيهم من الدين كله ، شىء واحد ، هو ملكهم المنتظر ، حيث تجد نزواتهم الجامحة فى السيطرة ، وفى الاقتناء فرصة سعيدة ...

يحي بن زكريا

(كهيعص * ذِكْرُ رَحمتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ
زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا *
قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِى واشْتَعَلَ
الرَّأسُ شَيْبًا ولَمْ أكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا *
وإِنِّى خِفْتُ الْمَوالِىَ مِنْ وَرَائِى وكانَتْ
امْرَأتِى عاقِراً فَهبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا *
يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ واجْعَلْهُ رَبِّ
رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ
اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) .

[قرآن كريم]

— ١ —

فى المحراب . .

شيخ عجوز ، يلوح فى وجهه التقى والصلاح . . سجد فى خشوع ، وأخذ يناجى ربه قائلاً :

— رب ، إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً ، وإنى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقراً ، فهب لى من لدنك ولياً ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا .

وأطرق الشيخ خاشعاً ، وفاض النور فى المحراب ، وسمع صوتاً عذباً يقول :

— يا زكريا ، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا .

فرفع زكريا رأسه إلى السماء ، وقال :

— رب أنى يكون لى غلام ، وكانت إمرأتى عاقرا ، وقد بلغت من الكبر عتيا ؟

قال الصوت الرقيق العذب :

— كذلك قال ربك : هو على هين ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا .

— رب اجعل لى آية .

— آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالى سويا .

وخرج زكريا على قومه فى المحراب ، يفيض وجهه بالبشر ، ورمز إلى قومه أن يسبحوا بكرة وعشياً ، فقد استجاب له ربه ، ووهب له يحيي .

— ٢ —

يحيي . . . أو يوحنا . . هذا الرجل المتبتل ، الأشعث ، الأغبر الذى يرتدى ثوباً من الشعر ، ويعيش على عسل النحل ، وعلى الجراد الجاف . . . . إنه عابد أواب ، ليس معه من الدنيا شىء . . . وإنه ليدعو الناس إلى التوبة ، ويعمدهم بماء النهر كى يساعدهم على تطهير قلوبهم ، وإنه أيضاً ليندد فى عنف شديد بالنفاق ، وبالكهنة الذين (يغسلون أيديهم ، وقلوبهم ملآنة دماً)

ملآنة بالشر وبالحقد وبالأنانية !

وهو شديد الخوف من الله ، ومن عقابه ، وإنه لا ينسى أن هذه الرقعة من الأرض ، التى يعيش فوقها ، قد ازدهرت عليها ذات يوم (سدوم) ثم خسف بها ، وبأهلها ، حتى لم يبق منها إلا عبرتها القاسية .

وهو يستعيد ذكريات القرون التى كانت لها على اليهود وطأة

شديدة ، فيبصر وراء كل ضربة محققهم بهـا ، القـدر ، تلالاً من الخطايا ارتـكبوها فأخذت الرجفة صالحهم وطالحهم .

أفيسكت عما يرى من جرائم وسيئات ، أم يصدع بما فى نفسه من حديث مفيد مضىء !

لم يطل تفـكير يوحنا ، فاختار طريقه ، وواجه مسئوليته . .

ووسط حشد من الناس وقف يذيع أولى كلماته :

ـ « توبوا . . . لأنه قد اقترب ملـكوت السموات » .

وإذ كان يأتى إليه الفريسـيون والصدوقيون والـكتبة لـكى يتعمدوا منه كان يشدد فى توبيخهم وتعييرهم أكثر من الجميع .

وعندما كان يرى كثيرين منهم آتين اليه كان يقول لهم :

ـــ [ياأولاد الأفاعى ،

من دلـكم على الهرب من السخط الآتى ؟

أثمروا أثماراً تليق بالتوبة .

ولا يخطر لـكم أن تقولوا فى نفوسكم .

إن أبانا إبراهيم :

لأنى أقول لـكم ، إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم] .

[أنتم الذين تختبئون فى بيوت من حجارة ،

كما تختبيء الأفاعى فى ثقوب الأرض وشقوق الصخور ،

إلا أنكم بالحقيقة أيها الفريسيون والصدوقيون لأصلب من الحجارة .

فإن عقولكم متحجرة بحروف الشريعة وطقوسها الرثة البالية ،

وقلوبكم الأنانية أشبه بالصوان منها بقلوب الأنانية ،

لأنكم تعطون الفقير الجائع الملتمس منكم رغيفاً من الخبز .

تعطونه حجراً علامه على صخرية قلوبكم ،

وتحكمون بالرجم على الكثيرين لأنهم لم يجاروكم فى خبثكم وشركم .

الحق أقول لكم ، أيها الفريسيون والصدوقيون ، إنكم تماثيل حجرية ، غليظة ، ضخمة ، ولا يؤثر فيكم سوى النار لأن الماء أسكبه عليكم يجف ويتبخر سريعاً .

ولكن الله الذى جبل آدم من حفنة من تراب الأرض ،

يستطيع أن يقيم من حصى الشواطيء ومن حجارة الطريق ومن صخور الخلجان رجالا أحياء ، وأبناء مختارين لنفسه سواكم .

بلى ، انه قادر أن يحول الصوان الى لحم وروح كما أنكم حولتم اللحم والروح الى حجارة وصوان .

ولذلك لا يكفيكم أن تستحموا فى مياه الأردن .

ان الغسل مقدس وشاف غير أنكم فى حاجة الى أكثر منه .

فجددوا حياتكم ، واصنعوا عكس ما كنتم تصنعون فيما مضى من عمركم .

حتى الآن ، والا فإنكم ستلتهمون بنار ذلك الذى يأتى بعدى لكى يعمد بالنار] .

وعندما سأله فريق منهم قائلين :

— ماذا نصنع نحن ؟

أجاب :

— من له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليصنع كذلك .

و (جاء أيضاً عشارون ليعتمدوا فقالوا له : ماذا نصنع يا معلم ؟ فقال لهم

لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم) .

ثم سأله الجند قائلين :

— ماذا نصنع نحن أيضاً ؟

— قال لهم : لا تظلموا أحدا ، ولا تفتروا على أحد وأقنعوا بما قسم لكم .

وعندما جاء إليه قوم من أورشليم ليسألوه من أنت ؟ اعترف ولم ينكر وأقر قائلا : لست المسيح .

فسألوه : إذن ماذا ؟ أيليا أنت ؟

فقال : لست إياه .

فقالوا له : وهل أنت ذلك النبى ؟

فأجاب : كلا

فقالوا له : وهل أنت المسيح ؟

فقال : كلا ، بل أنا صوت صارخ فى البرية قوموا طريق الرب كما قال اشعيا النبي .. ولكن بينكم من لستم تعرفونه هو الذى يأتى بعدى وقد كان قبلى، الذى أنا لا استحق أن أحل سيور حذائه .

— ٣ —

جلس فيليبس ملك أورشليم على عرشه ، وجلست إلى جواره زوجته هيروديا ، وراحت ابنتها سالومى تنظر من النافذة ، ترقب طرقات المدينة العتيقة ..

وكانت هيروديا مياسة القد ، رائعة الحسن ..

وأقبل هيرودس أخو الملك .. وراحا يتجاذبان أطراف الحديث .

لكن هيرودس كان يرنو إلى هيروديا فى وله وإعجاب ، ويرمقها فى اشتهاء .. وكانت عيناه الوالهتان تتلاقيان وعينيها ، فكانت تحس حرارتهما ، وتفهم لغتهما ، فترف على شفتيها ابتسامة .. رتتألق عيناها ببريق السرور ..

وهام هيرودس بزوجة أخيه حبا ، وبادلته هيروديا ذلك الغرام ، فراحا يتلاقيان ، وملك حبه لها حواسه ، وسيطر عليه ، فلم يطق أن يشاركه فيها شخص آخر ، ففكر ثم دبر ، ثم أسر إلى هيروديا بما عقد عليه العزم . فوافقت على انفاذ ما دبر ، فقد كانت امرأة تهوى المغامرات .

وذات مساء .. انسل أعوان هيرودس إلى القصر ، وقتلوا فيليبس . . وفى الصباح . . أعتلى هيرودس عرش أورشليم وإلى جواره هيروديا .

— ٤ —

علم يحيى أو يوحنا ما فعله هيرودس بأخيه ، فغضب غضباً شديداً ، وأخذ يردد أن هيروديا لا تحل له ، واشتد فى نقد المرأة ، وكان كلما

قابل جماعة من بنى اسرائيل أعلن سخطه على ما اقترف مغتصب الملك والزوجة .

وبلغ هيرودس مايقول يوحنا ، فثار ، بيد أنه لم ينفس عن ثورته فقد خشى أن يمد يده إلى يوحنا بأذى خشية أن يثور الشعب لنبيه .

وحقدت هيروديا على يوحنا ، فراحت تحرض هيرودس على التنكيل به ، ولكنه كان يتريث هيبة منه ، وخوفاً من أتباعه .

وأخيراً .. لم يجد مفرا من أن يأمر جنوده بإحضار يوحنا ، فلما مثل بين يديه قال له :

— ألا تكف عنا ؟

— حتى تكف عن معصية الله .

— وكيف ؟

— أن تهجر الفاجرة .

فقالت هيروديا فى غضب شديد :

— أقتلوه . . اقتلوه .

وسأل الملك :

— ولماذا أهجرها ؟

— لأنها لاتحل لك .

فصاحت هيروديا فى حنق عظيم :

— أقتلوه .. أقتلوه ..

وقال الملك لحراسه :

— ألقوه فى غيابات السجن .

— ٥ —

أورشليم فى العيد ..

والقصر الملكى يسبح فى النور ..

والملك وهيروديا وكبار رجال الدولة والأعيان يعبون الخمر ويضحكون ..

وبلغ يحيى – أو يوحنا – فى سجنه أن المسيح قد ظهر ، وأنه أحيى الموتى ، وأبرأ الأعمى والأصم والأبرص ، فصاح :

— العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون .

ودوى صوته فى القصر ، فصمت الجميع ، وسأل أحدهم :

— ما هـــذا ؟

فقال هيرودس :

— إنة يوحنا .

— ماذا يقول ؟

— لا أدرى .

فقالت هيروديا فى ضيق شديد :

— إنه يهرف .

وبلغ صوته آذان سالومى ، فامتقع لونها ، وتذكرت كيف أنها راودت يوحنا عن نفسه ، فأبى . .

واقترب منها الملك وقال لها :

— أرقصى يا سالومى .

— لا أشعر برغبة فى الرقص يا مولاى .

فقال لها فى إغراء :

— إذا رقصت لى أعطيتك ما تشائين .

فخطرت لها فكرة ، إنها تستطيع أن تثأر من ذلك الذى جرعها كأس الهوان ، وأنتقد أمها نقدا مريراً . .

فرنت إلى الملك وقالت :

— حقا ؟

— أقسم لك يا سالومى .

ورقصت سالومى فى خفة الطيف، كانت ترقص فى حرارة تتدفق فى عروقها .. وما انتهت من رقصتها حتى هرعت إلى الملك ، وانحنت أمامه ، فقال لها فى انشراح .

ـــ انهضى يا سالومى لأمنحك ماتطلبين .. ماذا تريدين ؟

ـــ هدية فى طشت من فضة .

فظهرت الدهشة على وجه الملك ، وقال :

ـ هدية فى طشت من فضة ؟ وما هذه ؟

قالت :

ـ رأس يوحنا .

تهلل وجه هيروديا ، وقالت :

ـ أحسنت الاختيار يا أبنتى . إنها خير هدية فى هذا العيد .

فقال الملك فى جزع :

ـ لا . . لا يا سالومى . لا تسأليني ذلك .

قالت سالومى فى إصرار :

ـ أريد رأس يوحنا فى طشت من فضة .

ـ لا .. لا ..

ـ لقد أقسمت .

ـ أقسمت ياسالومى ،ولكن أتوسل إليك أن تسأليني شيئاً آخر .

ـ لا أريد إلا رأس يوحنا .

وقالت هيروديا :

ـ لقد أقسمت ، بر بقسمك .

ـ أسكتى . .

فقالت سالومى :

ـ أريد رأس يوحنا ـ وأيدها أصدقاؤها الرهبان والسادة الوالغون فى الإثم . وانكمش هيرودس فى عرشه ، ونزل به هم ثقيل ، وقال لجنده فى صوت خفيض :

ـ أعطوها ما طلبت .

وخرج الجند ، وساد القاعة صمت رهيب ، ومر الوقت بطيئاً بطيئاً . . وقد استولى على الجميع رهبة وقلق . ثم عاد الجند يحملون طشتا من فضة به رأس يحيي ـ يوحنا ـ .

وزلزلت الأرض •• وانقضت صاعقة من السماء •• وسقطت سالومى صريعة ••

المسيح

[واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً .

قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً]

قرآن كريم

— ١ —

كانت فلسطين ، إحدى مستعمرات الإمبراطورية الرومانية . . يقطنها مليونان ونصف مليون من الناس . يعيش الوثنيون منهم في

المدن الساحلية . ويتركز اليهود فى المدن الداخلية . ويعانى شعبها ، سيما اليهود نزاعا عنصريا ، واضطرابا سياسيا .

فكان بين أهل يهوذا ، والسامريين ، وبين الصدوقيين ، والفريسيين ، عداوات دائمة الاستعار .. بيد أن حقتهم لروما كان يجمع بين قلوبهم المشتتة . فالاستبداد السياسى شديد ، حتى أنه فى معركة واحدة إبان شباب المسيح ، أى قبل جهره بدعوته قاد « قارس » حاكم سوريا الرومانى حملة تأديبية على بعض مدن فلسطين ، فهدم مئات المدن والقرى ، وصلب ألفين من سكانها ، وباع ثلاثين ألفا فى أسواق العبيد .

والظلم الاقتصادى ينشب أظفاره فى الناس ، فالضرائب فادحة ، وجباتها لحساب الرومان قساة لا يرحمون ، وكهنة اليهود وتجارهم لا يقلون عن الآخرين بغيا وجشعا .

ومن هنا ، داعبت الآمال القوم فى مجىء مسيح مخلص يلغى التجارة ، والملكية الفردية ، ويحقق مساواة كاملة بين الناس !

كان أصحاب هـذا الأمل الحلو ، جماعة تسمى [الأسينية] أو [الآزيون] وكان أعضاؤها يعملون فى مزرعة جماعية ، غربى البحر

الميت ، ويجمعون محاصيلها ، وكل مكاسبهم فى بيت مال مشترك ، ومحظور على أى منهم أن يمتلك لنفسه بيتا ، أو فراشا .

وكانوا يؤمنون إيمانا عميقا بالسلام وينبذون من صفوفهم كل من يصنع أو يساهم فى صنع شىء من أدوات الحرب !

ولقد حدث لهم — كما يقول الكاهن يوسفوس — فى تاريخه ، وكما ينقل عنه ديورانت فى قصة الحضارة — أن عذبوا ، وحرقوا ، وقطعت أجسامهم ، ليتخلوا عن عقيدتهم وسلوكهم ، بيد أنهم أبوا وجادوا بأرواحهم فى غبطة ورضى .

كان اليهود فى فلسطين ، يمنحون أنفسهم من الامتياز ما يجعلهم فوق البشر . ويرون أنفسهم (شعب الله المختار) ، ويزعمون أن الله قد وعد أباهم « إبراهيم » ملكاً عظيما ، يحكمون هم من خلاله جميع الأرض ، وجميع الشعوب ! ويعيشون فى دائرة مغلقة ، منطوية .

وهم فى أورشليم ، يشكلون « مصرفا » جشعا ، يؤله المال ، ويحتكر الثورة ويلهب الفقراء والمعوزين بسياط الاستغلال ، والربا لا يعرفون عن المقدسات إلا أنها السبيل لحظوظ أكثر من الكسب الحرام .

وقد قتلوا أنبياءهم . وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ، استكبروا ، ففريقا كذبوا ، وفريقا يقتلون .

وإن فى أعناقهم وأيديهم بقع كبيرة من دم (زكريا) ومن دم (يحيى) أو (يوحنا) ومن دماء زاكية لأنبياء وشهداء كثيرين(١) !

ترى .. ماذا سيصنع اليهود بالمسيح ، الذى طالما انتظروه ؟!

— ٢ —

جاء المسيح إلى الدنيا وملء راحتيه زنابق وورود يعطر بها الأجواء .. وكان اسمه الأول الذى أطلق عليه « يهوشع » فى أنجيل لوقا (فلما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى سمى يسوع) وكلمة يهوشع هذه عبرية ؛ وتتكون من (يهو) وهو اسم الله بالعبرية و (شع) ومعناها الانقاذ أو المنقذ ، فالأسم إذا معناه (المنقذ بالله) .

وعندما بلغ الثانية عشرة ذهب مع أمه مريم ويوسف النجار إلى زيارة المعبد فى أورشليم فى عيد الفصح (وبقى الصبى عند رجوعهما فى أورشليم ويوسف وأمه لايعلمان . وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة

---

(١) خالد محمد خالد : معا ، على الطريق محمد ، والمسيح ص ٣٩ وما بعدها

يوم ، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف . ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه ، فوجداه بعد ثلاثة أيام فى الهيكل جالساً فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته فلما أبصراه دهشا وقالت له أمه : يابنى . لماذا فعلت بنا هكذا ؟ فقال لها : لماذا كنتما تطلبانى ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى ؟ فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة ..وكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس[(١)]) .

وممن أثر فى حياة المسيح الروحية النبى يحيى بن زكريا المعروف بيوحنا المعمدان .

وكان المسيح رقيقا فى دعوته وتعاليمه رقة الماء يتساقط على الحجر الصلب فيبريه حتى يذيبه ويكتسحه . وقد تتجمع هذه القطرات فتصير مسيلا يجرى فى هوينى ورفق ، ولكنه يجرف أمامه كل ما يصادفه من حطام بال . بدأ المسيح رسالته معلما يهدى من حوله من متواضعى الناس فى الجليل ، وممن التفوا حوله يودون التلمذة عليه .

كان أكثر المبادىء الثورية التى جاء بها المسيح مبدأ مملكة السماء ، لأنه رأى اليهود كانوا قد احتكروا لأنفسهم الله فجعلوه

---

(١) انجيل لوقا : الإصحاح الثانى .

إلههم وحدهم ، وجعلوا أنفسهم الشعب المختار ، ولا يعترف بأخوة غير اليهود . فجاء هذا المعلم العظيم يهـــــدم أول ركن من أركان اليهودية وينادى بإله مشترك لجميع البشر ، وأنه ليس هناك شعب مختار ، وأن لاحظوة فى مملـكة السماء ، وأن الله هو الأب المحب لـكل الأحياء يشملهم كلهم برعايته على السواء . وأن كل الرجال أخوة ، وأنهم مخطئون على السواء وأبناء محبوبون من الوالد المقدس على السواء .

كانت إذا فـكرة أبوة الله للجميع فـكرة عالمية تهدف إلى الغاء ذلك الامتياز السخيف الذى قسم بنى البشر قسمين إلى ارستقراط وسوقة .. ولم يقتصر هذا الثائر الـكريم على تحدى وطنية اليهود القبلية ، بل كان يبغى أن يكتسح هذه العواطف الضيقة طوفان جارف من حب الله(١) . فكان لابد لمملـكة السماء بأسرها من أن تـكون عائلة واحدة .

ولم يكن هذا المبدأ موجهاً ضد اليهود فحسب ولـكنه موجه إلى النظام الذى كان سائداً فى عصره ، نظام السادة والأرقاء ، والأباطرة المؤلهين ، وطبقات الحـكام والمحـكومين . وكان بهذا المبـدأ يرمى

(١) الدكتور عبد العزيز عبد المجيد : المسيح ، ص ١٤٥ .

إلى الإخاء بين جميع الناس وأن لا فضل لأحد على آخر إلا بالعمل الصالح .

ومن المبادئ الثورية التى جاء بها المسيح مقاومته الرياء والنفاق والاتجار باسم الدين .

وكان من تحديه لأولئك الذين يتمسكون بشكليات الدين ما ذكره لتلاميذه :

قيل للقدماء لا تقتل ، ومن يقتل وجب عليه العقاب . أما أنا فأقول لكم : إن من يغضب على أخيه باطلا يأثم ويخزى . . فإن قدمت قربانك وذكرت حقا لأخيك فدع قربانك أمام المذبح وأذهب فصالح أخاك .

وقيل للقدماء لا تزن . أما أنا فأقول لكم : إن من ينظر إلى امرأة فيشتهيها فقد زنى بها فى قلبه . فإن كانت عينك اليمنى تلقى بك فى العثرات فاقلعها والقها عنك ، فخير لك أن يهلك عضو لك من أن تهلك كلك ..

وقيل للقدماء لا تحنث . . وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا . . وليكن كلامكم كله نعم نعم . لا . لا . . وما زاد على ذلك فهو من الشيطان . .

وسمعتم أنه قيل عين بعين . وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم :

لا تقابلوا الشر بالشر . ومن لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر ... ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه ميلين .

وسمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم :

أحبوا أعداءكم..وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وادعوا إلى من يسيء إليكم ويطردكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فإنه تطلع شمسه على الأشرار والصالحين، ويرسل غيثه للأبرار والظالمين. وأى أجر لكم إن أحببتم من يحبونكم . أليس العشارون يفعلون ذلك ؟ أو أى فضل تصنعون إن خصصتم إخوتكم بالسلام ؟ أليس العشارون يفعلون ذلك ؟ فتعلقوا أنتم بالكمال فان الله كامل .. يحب الكمال) .

ولم تكن ثورة المسيح مقصورة على الاحتكار الدينى الذى خص بنو اسرائيل أنفسهم به ، ولكنها كانت أيضاً ضد النظام الاقتصادى الشره الذى نتج عنه التكالب المادى والربا والتنافس على جمع المال بأى طريق وفى أى مكان حتى فى الهيكل المقدس نفسه .

(وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له ، وسأله :

أيها المعلم الصالح . ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله . أنت تعرف الوصايا . لاتزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد الزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك . فأجاب وقال له : يامعلم هذه كلها حفظتها منذ حداثتى ، فنظر إليه يسوع وأحبه ، وقال له : يعوزك شيء واحد . إذهب بع كل مالك ، وأعطه الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى حاملا الصليب . فاغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة ، فنظر يسوع حوله ،وقال لتلاميذه : ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله ! فتحير التلاميذ من كلامه . فأجاب يسوع أيضاً ، قال لهم : يا بنى . ما أعسر المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله . مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله (١)) .

وقد لقيت دعوة المسيح من الفقراء والمحرومين والمضطهدين آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية ، فتبعوه وأخلصوا له . أما المنافقون من رجال الدين ، والأغنياء ، والحكام فخافوا على سلطانهم وأموالهم من أن تزول ، ولذلك قاوموه واتهموه بأنه يدعو إلى مملكة جديدة غير

---

(١) انجيل مرقس : ١٧ : ٢٥ .

مملكة قيصر ، وصوروه للحاكم الرومانى بيلاطس بأنه خائن خيانة عظمى . . .

— ٣ —

وجاء دور المحاكمة ...

أخذ رؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ ومعهم يهوذا الأسخريوطى المسيح وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة . ثم قام جمهورهم — جمهور القادة — وجاءوا به إلى الحاكم الرومانى بيلاطس (وابتدءوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن نعطى جزية لقيصر) ثم أرسله بيلاطس إلى هيرودس لما علم أنه جليلى ورده هيرودس إلى بيلاطس ثانية .

وهنا ينتهى دور الكهنة وقواد الجند والشيوخ ليأتى دور الشعب ...

يقول الإنجيل فى ذلك :

(فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ، وقال لهم قد قدمتم إلى هذا الإنسان كمن يفسد الشعب ، وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه .ولا هيرودس

أيضاً . لأنى أرسلتكم إليه . وها لاشىء يستحق الموت صنع منه . أؤدبه وأطلقه .

وكان مضطراً أن يطلق كل عيد واحداً فصرخوا بجملتهم قائلين خذ هذا وأطلق لنا باراباس . وذاك كان قد طرح فى السجن لأجل فتنة حدثت فى المدينة وقتل . فناداهم أيضاً بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع . فصرخوا قائلين أصلبه . أصلبه . فقال لهم ثالثة فأى شر عمل هذا . إنى لم أجد فيه علة للموت ، فأنا أؤدبه وأطلقه فكانوا يلحون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب ،فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم . فأطلق لهم الذى طرح فى السجن لأجل فتنة وقتل الذى طلبوه . وأسلم يسوع لمشيئتهم (1) .

وتأكيدا لدور الشعب فى مسئولية صلب المسيح جاء فى الأناجيل بعد عملية الصلب .

(وكان الشعب واقفين ينظرون والرؤساء أيضا معهم يسخرون منه قائلين خلص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله) .

هذا الكلام المقتبس من الكتاب المقدس كلام واضح ولا يحتاج إلى كبير عناء ليفهم منه القارىء حقيقة ما جرى . صحيح أن رؤساء

(1) لوقا : ٢٣ : ١٣ ـ ٢٦ .

الشعب والكهنة وقواد الجند هم الذين تآمروا وهم الذين ساقوه إلى بيلاطس . ولكن بيلاطس قبل أن ينزل عند مشيئة رؤساء الكهنة وقواد الجند ووجوه الشعب دعا عامة الشعب ليستفتيهم فى أمر المتهم البرئ فأفتوا كلهم بإدانته وموته وعلت أصواتهم وقويت حتى لقد يفهم أن بيلاطس خشى إن هو لم يرضخ لمشيئتهم أن يصيبوه هو نفسه بالأذى .

يقول المسيح :

—(ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبورا تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما .

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين . وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملئوا أنتم مكيال آبائكم .

أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم . كذلك

ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة . لكى يأتى عليكم كل دم ذكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم إن هذا كله يأتى على هذا الجيل[١] » .

— (فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : إنى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس ، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب[٢]) .

* * *

وقد لقى الحواريون أنصار المسيح من اليهود شراً ونكرا ، وقد أشار القديس بولس أحد الحواريين فى بعض رسائله إلى موقف اليهود منه ومن المسيحيين فقال فى رسالته إلى رومية عن اليهود كما جاء فى

---

(١) متى ٢٣ : ٢٧ ـ ٣٧.
(٢) متى ٢٧ : ٢٤ ـ ٢٦.

الإصحاح الثالث أنهم لم يعرفوا سبيل السلام (وليست مخافة الله أمام أعينهم) هل الله لليهود فقط ؟ أليس هو للأمم أيضاً .

وفى الإصحاح الحادى عشر يقول (جلدنى اليهود خمس مرات وضربت بالعصا ثلاث مرات ورجمت مرة وانكسرت بى السفينة ثلاث مرات وقضيت ليلا ونهاراً فى عمق البحر)

* * *

وعلى مدى التاريخ ، لقى أتباع المسيح من اليهود الاضطهاد والعسف ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا تعد ولا تحصى ، نذكر منها هذه الشواهد :

ففى نجران كبرى الحواضر فى الجزيرة العربية ... لقى النصارى من اليهود العذاب الغليظ ... وتفصيل ذلك :أن أهالى نجران عرب كانوا فى قديم الجاهلية أهل شرك يعبدون الأوثان ، حتى وفد على ديارهم راهب نصرانى صالح ، أقام له خيمة بضواحى نجران، وعكف على عبادة الله العلى القدير . فمال إليه فتى عربى من أبناء نجران اسمه (عبد الله بن الثامر) كان أبوه يرسله إلى ساحر مشهور هناك ليلقنه أسرار السحر ، فكلما مر بخيمة الراهب فى طريقه إلى الساحر ، أطال

الوقوف ببابه ، يصغى إلى تراتيله وصلواته ، ويرنو إليه فى تبتله وعبادته ..

وعلى يد (ابن الثامر) تنصر أكثر عرب نجران ، فسار إليهم (ذو نواس) بجنوده بتحريض من يهود اليمن ، ودعاهم إلى اعتناق اليهودية ، وخيرهم بينها وبين القتل ، فاختاروا القتل ، فحفر لهم أخدوداً أوقد فيه النار ، وسيق ألوف من النصارى فأحــــرقوا فى الأخدود ، وقتل ألوف آخرون ضرباً بالسيف .

وظلت مأساة الضحايا الشهداء ـ وفى الخبر أنهم قاربوا عشرين ألفاً ـ تؤرق الجزيرة حتى أوان البعثة المحمدية ، وقد كان نصارى نجران بشهادة مؤرخى الإسلام أهل فضل واســتقامة ، وقد صور القرآن الـكريم هذه الحادثة أروع تصوير فى هذه الآيات[1] :

(والسماء ذات البروج . واليوم الموعود . وشاهد ومشهود . قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

* * *

(١) سورة البروج

وقد روى التاريخ أنه فى ٢٤ يونيو سنة ١٢٤٠ عقدت جلسة حافلة فى قصر الملك لويس التاسع بباريس تحت رياسة الملكة بلانش وكان القصد منها التحقيق فيما نسب إلى اليهود من الأمور المنكرة ومن جملتها استنزاف الدم البشرى تنفيذاً لاعتقاداتهم وعلى ما جاء فى تلمودهم . وقد أعطيت الحرية المطلقة لبنى إسرائيل فى الدفاع عن أنفسهم وعن تلمودهم ولما لم يتمكنوا من إخفاء حقيقة ما نسب إليهم أقروا به وقد عرف وقتئذ من ترجمة نصوص تلمودهم خلاصة ما يعتقدون به :

(إن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار ، وأن أمه مريم أتت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس النصرانية هى قاذورات وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة وأن قتل المسيحى من التعاليم المأمور بها ، وأن العهد مع مسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود القيام به ، وأنه من الواجب ديناً أن يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى إسرائيل) .

وجاء فى كتاب « سدر حادوروت » أن الحاخامات تسببوا فى قتل عدد كبير من المسيحيين بروما .

ومن الأمور المتفق عليها اتهام الأمبراطور « أنطونين ليبو » ببغض المسيحيين وقد إعترض العالم « هافز » على الأمر الذى أصدره الأمبراطور فى سنة ١٧٨١ لمنفعة المسيحيين ، على أنه إذا كان ذلك الأمر حقيقياً وصدر من أجل حماية المسيحيين من فتك الشعب بهم فى بعض المدن كما ادعى بذلك المؤرخ « أزيب » فى كتابه فإن ذلك لا ينفى ما ذكر فى كتاب « سدر حادوروت » وهو (أن الحاخام الربانى يهوذا كان محبوباً من الأمبراطور ، وقد أطلعه على حيل النصارى قائلا له : إنهم سبب انتشار الأمراض المعدية ، وبناء على ذلك أصدر الامبراطور أمراً بقتل كل النصارى الذين كانوا يسكنون روما فى سنة ٩١٥[1] .

وجاء فى الكتاب أيضاً أن الأمبراطور « مارك أوريل » قتل جميع النصارى بناء على إيعاز من اليهود ، وقال إنه فى سنة ٣٩٧٤ قتل اليهود ٢٠٠,٠٠٠ مسيحى فى روما كما قتل كل نصارى قبرص .

وذكر فى كتاب « سفر بركاسين » المطبوع بمدينة استردام سنة ١٧١٧ م .

---

(١) ص ١٢٥

(إنه فى زمن البابا « كليمان » قتل اليهود فى روما وخارجها مجموعة من النصارى « كرمال البحر » ، وأنه بناء على رغبة اليهود قتل الأمبراطور « ويوكليسين » عدداً كبيراً من المسيحيين ومن بينهم البابا وات « كاييس ومرسلينوس »).

إسرائيل الجسد . . . وإسرائيل الله

« لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ،
ولا لأنهم من نسل إبراهيم جميعاً أولاد » .

[رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية]

— ١ —

يرى البعض أن المسيحية وجدت جذورها فى الدين اليهودى ، ولكننا نرفض التلاحم الذى يريد هـذا البعض أن يعطيه صفة المشروعية بين الدينين المسيحى واليهودى ذلك أن عبادة الله الواحد العلى القدير كانت معروفة لدى سكان أرض كنعان (فلسطين) قبل ظهور إبراهيم[١] ، وأن طقوس عبادة راقيـة ، لا تقيم ذبائح دموية كانت قائمة فى أورشليم قبل مجىء ابراهيم إليها ، وأن القداسة القديمة المستمرة لأورشليم قبل ظهور اليهود على مسرح التاريخ هى التى دفعت داود النبى ـ الملك إلى احتلالها وجعلها عاصمة لدولة اليهود ، وأن الله عندما تـكلم بفم هذا النبى لإعلان مجىء المخلص عند ملء الزمن ، حمله على التنبؤ بأن هذا المخلص سيكون كهنوته وطقوسه على رتبة وغرر كهنوت وطقوس إلهية كانت قائمة فى أورشليم قبل عهد إبراهيم.

(١) أنيس فاخورى : بحث « المسيحية ثورة على اليهودية » ملحق صحيفة النهار اللبنانية عدد ١٩٦٤/١٢/٦ .

وأن رسول المخلص الأكبر ، القديس بولس ، اليهودى الأصل ، أعلن للملأ أجمع أن الكهنوت الموسوى وناموسه ناقصان وموضوعان حسب ترتيب جسدى أما كهنوت المسيح فموضوع حسب قوة حياة لا تزول على مستوى رتبة كانت قائمة فى أورشليم قبل عهد إبراهيم ، وأن المسيح وضع على اليهود وزر كل دم سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلوه بين الهيكل والمذبح .

وأن الله بعد أن أفسح المجال لليهود ليكونوا شعبه الخاص (ولكنهم فشلوا فى أن يكونوا ذلك الشعب الخاص) عاد فلعنهم ورذلهم وأخرجهم من الأرض الطيبة ، أرض كنعان أى فلسطين ، واتخذ لنفسه شعباً جديداً منفتحا على العالم ، منتقى من جميع شعوب العالم ، ولا يزال هذا الشعب يتزايد يوما بعد يوم فى جميع أنحاء العالم .

يقول بولس الرسول فى الرسالة إلى العبرانيين الإصحاح السابع والعدد الحادى عشر :

[فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال .. ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق ولا يقال على رتبة

هارون) ثم يستطرد فى الإصحاح الثامن والعـدد السادس :

(ولـكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضـل ، فانه لو كان ذلك الأول ـــ « أى كهنوت وناموس موسى » — بلا عيب لما طلب موضع ثان) .

ألا يرى القارىء العزيز من هذه النصوص أن لا إمكان لحصول انبثاق المسيحية من اليهودية ، بل هناك حتمية قيام شيء جديد آخر لا يمت إلى اليهودية بصلة لأن ناموسها وكهنوتها ناقصان .

إن المسيح لم يأت لينقض الناموس ، بل جاء ليكمل ..

وأهم مافى رسالة المسيح هو تقليله من شأن الجسد ورفعه للقيم الروحية لدى الإنسان المؤمن .

قال اليهود للمسيح : ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذى مات؟ فأجاب :

— [أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح . فقال اليهود : ليس لك خمسون سنة بعد ، أفرأيت إبراهيم ؟ . قال لهم يسوع الحق الحق أقول لـكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن [1]] .

(١) يوحنا ٨ : ٥٦ ـ ٥٩ .

ـ (وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه . فسألهم قائلا : من تقول الجموع انى أنا ؟ فأجابوا وقالوا : يوحنا المعمدان. وآخرون ايليا . وآخرون إن نبياً من القدماء قام . فقال لهم: وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال : مسيح الله . فانتهرهم وأوصى ألا يقولوا ذلك لأحد[١]).

ـ (وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له: طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما . أما هو فقال : بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه[٢])

ـ (وقال لهم كيف يقولون إن المسيح ابن داود . وداود نفسه يقول فى كتابه المزامير قال الرب لربى اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فاذا داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه[٣])

ـ (وأما هو فاذ أراد أن يبرر نفسه قال ليسوع : ومن هو قريبى؟ فأجاب يسوع وقال : إنسان كان نازلا من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت . فعرض

---

(١) لوقا ٩ : ١٨ ـ ٢١ .
(٢) لوقا ١١ : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) لوقا ٢٠ : ٤١ ـ ٤٤ .

أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضاً إذا صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامريا مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق وإعتنى به .وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له إعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك . فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص . فقال الذى صنع معه الرحمة . فقال له يسوع : إذهب أنت أيضا واصنع هكذا [1]) .

ـ على لسان يوحنا (فلما رأى كثيرين من الفريسيين يأتون إلى معموديته قال لهم : ياأولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى . فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة . ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً . لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم . والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار [2]) .

هذه الآيات من الكتاب المقدس . . . هل تعنى أولا تعنى أن المسيح يهودى وأن المسيحيين بمعنى من المعانى يهود .

---

(١) لوقا ١٠ : ٢٩ ـ ٣٧ .
(٢) متى ٣ : ٧ ـ ١٠ .

قال المسيح : لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل[1] .

— ٢ —

كانت رسالة المسيح ثورة من أجل إعلاء كلمة الحق .. والعدل والمساواة بين الناس ..

يقول المسيح : (جئت لألقى ناراً على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت . ولى صبغة أصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل .. أتظنون أنى جئت لأعطى سلاماً على الأرض . كلا أقول لكم . بل انقساما ، لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الإبن والإبن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم . والحماة على كنتها والكنة على حماتها[2]) .

ـ (لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً ردياً ، ولا شجرة ردية تثمر ثمراً جيداً . لأن كل شجرة تعرف من ثمرها . فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العليق عنباً) .

وقاد المسيح ثورة هائلة على عبادة المال ..

---

(١) متى ٥ : ١٧

(٢) لوقا ١٢ : ٤٩ ـ ٥٣

يقول المسيح :

ـ (لا يقدر خادم أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال[1]) .

ـ (ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل . وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتى بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص[2]) .

ـ (ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء . ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم[3]) .

وقال لتلاميذه :

ـ (من أجل هذا أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس[4]) .

إن هذه المبادىء السامية التى كان المسيح يدعو إليها ، كانت السبب فى حنق اليهود عليه ، وتكذيبهم له ، وتآمرهم عليه .

---

(١) لوقا ١٦ : ١٣

(٢) متى ٢١ : ١٢ ـ ١٤

(٣) متى ٢٣ : ١٦

(٤) لوقا ١٢ : ٢٢ ـ ٢٣

— ٣ —

يزعم اليهود أنهم شعب الله المختار ، ولـكن هذه الخرافة تحطمت وذهبت بدداً ..

ورد فى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية :

(فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم ولنسله أن يكون وارثاً للعالم . بل ببر الإيمان لأنه إن كان الذين فى الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد[1]) .

(إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس أم الله لليهود فقط . أليس للأمم أيضاً . بلى للأمم أيضاً[2]) .

إن اليهود اليوم يفضلون الأنبياء الجدد وايزمان وهرزل وأبا هيلل سيلفر على أنبياء التوراة .

ولم تخف أرملة حاييم وايزمان هذا التفضيل عندما قالت :

(إن موسى قد احتاج إلى أربعين سنة ليصل ببنى إسرائيل إلى أرض الميعاد ، أما حاييم وايزمان فلم يحتج إلى أكثر من ثلاثين سنة ليفعل ذلك[3]) .

---

(١) رومية ٤ : ١٣ ـ ١٥ .
(٢) رومية ٣: ٢٨ ـ ٣٠
(٣) راديو لندن ١٩٦٣/١٢/٢٤

ورد فى رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية :

ـ (لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة . فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله[1]) .

ـ (أنظروا إلى إسرائيل حسب الجسد . أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح) .

(رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس ١٠ ـ ١٨) .

ـ (لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد) .

(رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٩ : ٦) .

ـ (إذا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان . ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب . لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع . لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح . ليس يهودى . ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع . فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة) .

---

(١) ٦ : ١٥ ـ ١٧

(رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٣ : ٢٦ — نهاية الإصحاح) .

إن اليهودى ملزم باتباع ما جاء فى حرفية الناموس الذى جاء به موسى عليه السلام .. ملزم بالانقطاع عن العمل يوم السبت . ولكن المسيح عمل يوم السبت .

واليهودى ملزم بالاختتان ، والمسيح لم يحسب لذلك كبير وزن . واليهود قد احتكروا عبادة الله وقفاً عليهم دون الأمم . والمسيح دعا الناس جميعاً إلى عبادة الله الواحد القهار . اليهودى تعلم أن يجمع المال ويكنزه ، ويتعامل بالربا الفاحش واعتبر ذلك من مقومات الدين . وجاء المسيح ثائراً على المادة ، بكل صورها .

تحدث المسيح عن الخبز الإلهى الذى يشبع وعن الماء الإلهى الذى يروى واستنكر الفريسيون والكتبة هذا الاتجاه الجديد الذى كاد أن يقضى على نفوذهم وسيطرتهم على جماهير الشعب الكادحة .

تمسك اليهود بقرابة الجسد وبالاختيار ورفض المسيح هذه القرابة ، وأعلن أن التراحم هو عنوان القرابة ، وأن التقوى هى سبيل الاختيار عند الخالق سبحانه وتعالى .

لنسأل يهود اليوم : أيقبلون اليهودى الذى ينادى بإهمال السبت

والختان وفطير الفصح أم يقيمون حرباً عليه حتى يحطموه أو يعود إلى حرفية الناموس .. إلا أن يكون متحرفا لخدمة اليهود بالإنتساب إلى دين آخر .

لنسأل يهود اليوم : هل يعتبرون المسيح[1] يهودياً صالحاً . . إن أهون مايوصف به المسيح عند اليهود هو أنه يهودى مرتد . وهو الذى بعث ليقضى على الفساد والظلم والاستغلال وليقيم السلام القائم على العدل على الأرض .

لقد رفض المسيح إسرائيل الجسد وقبل إسرائيل الله وأكد ألا يعود إلى هذه الأرض مادام فيها أحفاد أولئك الذين اضطهدوه وكذبوه وأقاموا له الصليب .

إن هناك ثمة سؤال يدور فى الأذهان . . هل إسرائيل اليوم هى إسرائيل الله ؟ وإن كانت كذلك فما هو معنى المسيحية إذن ؟

إن إسرائيل الحديثة خلفاً لإسرائيل التاريخية . . وإسرائيل التاريخيـة التى عرفناها من خلال التوراة والإنجيل هى إسرائيل المتكبرة قاتلة الأنبياء وبانية قبورهم .. هى إسرائيل التى جعلت من الهيكل المقدس مغارة لصوص ، وجعلت من الأمم عبيداً مسخرين

---

(١) محمود نعناعة : الصهيونية فى الستينات : ص ٧٦ وما بعدها .

لخدمة اليهود . وجعلت من جماهير اليهود أقنانا يشهر فوق رؤوسهم فى كل وقت سيف الناموس وسلطان إقطاع الكهنة والكتبة والشيوخ ..

هذه هى إسرائيل التاريخية .. إسرائيل الجسد ، التى جاء المسيح يستبدل بها إسرائيل الله .

— ٤ —

فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٠٤ تم لقاء بين البابا بيوس العاشر وتيودور هرزل[١] وخلال المقابلة أوضح البابا موقف الفاتيكان من اليهود بشأن اقتراح هرزل منح الأراضى المقدسة وضعاً إقليمياً خاصاً تمهيداً لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

قال البابا بيوس العاشر :

ـ هناك احتمالان : إما أن يظل اليهود متحفظين بمعتقداتهم ينتظرون مجىء المسيح .. والمسيح عندنا قد جاء وتمت بعثته للبشر . وفى هذه الحالة نعتبر اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح . ولا

---

(١) كان هرزل محامياً وكاتباً وصحفياً ، من أصل نمساوى عاش فى باريس وقد ولد عام ١٨٦٥ وتوفى عام ١٩٠٤ .

وتذكر الحركة الصهيونية مقرونة باسم هرزل باعتباره منشئاً للصهيونية ذلك أن هرزل كان أول من أثار بين اليهود ضجة كبيرة حول هذه الفكرة .

مجال هنا لمساعدتهم فى فلسطين .. هذا هو الوجه الأول . . والآخر أن يذهبوا إلى فلسطين شعباً بلا دين بالمرة . . وفى هـذه الحالة نجد أنفسنا فى مجال أضيق وغير مستعدين لمؤازرتهم .

ومعلوم أن الدين اليهودى هو أساس ديننا ، ولـكن الدين اليهودى قد جاءت عليه تعاليم المسيح وحلت محله .

ولهذه العلة فليس من الممكن أن نقدم اليوم لليهود من المساعدة أكثر مما فعلنا من قبل . والذين أنـكروا المسيح من اليهود ولم يعترفوا به . مازالوا على هذا الإنـكار حتى اليوم .

وهنا أجاب هرزل : إن النـكبات والاضطهادات لم تـكن فى إعتقادى خير وسيلة لإقناع قومى بما يكرهون .

وهذه العبارة استفزت قداسة البابا فحمى دفاعه عن وجهة نظره وقال لهرزل :

ـــ إن سيدنا يسوع المسيح أتى إلى هـذا العالم ولا قوة له ولا سلاح فقد جاء فقيراً من حطام الدنيا وهو لم يضطهد أحداً وإنما هو الذى تعرض للاضطهاد وتخلى عنه الناس . وسلطانه على الأرض لم يظهر إلا بعد انقضاء رسالته . ولم يقم للـكنيسة كيان إلا بعد مضى مايقرب من ثلاثمائة عام على تأسيسها . وقدكان بوسع اليهود خلال

تلك الفترة أن يقبلوا رسالة المسيح . فلم يقبلوها ورفضوها . وما زالوا يرفضونها حتى هذه الساعة .

وقد دوّن هرزل فى مذكراته هذه المقابلة وأخذ يؤول السبب الذى حمل البابا فى نظره على اتخاذ موقفه .

فقال إن البابا بيوس العاشر امتعض منى لأنى لم أقبل يده عند اللقاء . ولو كنت قبلتها كما فعل كونت لباى (الذى رتب المقابلة) لما كان قداسته ذهب المذهب الذى صدر عنه[1] .

وهكذا يفسر اليهود المبادىء ويعطونها قيمها وأوزانها .

اعتبر هرزل نبى الصهيونية أن قبلة تطبعها شفتاه على يد البابا كانت رشوة كافية لكى يغير قداسة البابا آراءه ومبادئه التى قضى حياته فى التحصيل والعبادة ليكوّنها ولتؤهله لاعتلاء عرش بطرس الرسول .

إن الصهيونية لا تعترف بدين إلا (بالموسوية) . والدين اليهودى (دين تشبيهى) ولأجل التوسع فى تفسير ذلك نقول :

إن اليهود ينقسمون إلى شعبتين (الفاريين) وهؤلاء يعتنقون

(١) من كتاب كريستوفرسايكس : دراستان فى الفضيلة — عن كتاب الصهيونية فى الستينات . ص ٨٤ وما بعدها .

المذهب الإسرائيلى القائم على الظواهر . و (الـكبالبين) وهم طبقة المتصوفين من حاخامين وسواهم ممن أدخـلوا السحر والتنجيم وكل أسطورة غريبة على كتب العبادة التى وضعوا أركانها .

فالأولون لايقام لهم وزن ، فهم كالأنعام يسيرون وراء الرعاة .

وهؤلاء الرعاة هم زمرة المتصوفين الذين يحتكرون التوجيهات الدينية، يرسمونها للدهماء وفقاً لمصالحهم المادية الخاصة .

أما الـكباليون ، فيتنـكرون لـكل ما هو روحى ومعنوى فى الحياة : ومذهبهم يجارى مبادىء الماديين والقوميين الأنانيين بمعنى أن الثواب والعقاب والسعادة والمحبة والفضيلة عند هذه الطغمة ليست إلا مصالح مادية . وأن الشخص الذى يطيع أوامر الله لايفتقر ولا يقع فى ضيق أو عوز ولا يمرض وتـكثر ذريته ويعمر طويلا ، أما الذى يعصى الله فإنه يقع فى مصائب كثيرة . وعقيدتهم عن الحيـاة الآخرة أن الإنسان سوف يلاقيها بروحه فقط ، وأن هذه الروح سوف تـكون فى حالة تتراوح بين النوم واليقظة لا فرق فى ذلك بين العاصى والمؤمن .

ومن جملة معتقداتهم أن الله فضل بنى إسرائيل على كافة الخلق وهو سريع الغضب على من عصاه ينتقم منه ومن ذريته دون تسامح. ولذا فإن الإسرائيليين يخشونه ويتملقونه بشتى الترضيات الصوفية

النفعية أى أنهم ينصرفون إلى عبادته بإيمان هو مجرد استسلام ، ولهذا نجد أن نوع العبادة لدى هذه الفرقة تشبيهية مع مصالحهم الخاصة أى أنها عبادة استنتاجية مادية تتحرى وجود النفع للمخلوق وتفرض أن الخالق يتمشى على أهواء مخلوقاته فلا تنزيه ولا توحيد لألوهيته. دأب أنبياء إسرائيل على أن يلقوا فى مسامع أتباعهم أن الله اصطفى الشعب العبرى ـ اليهودى ـ ليكون (شعبه) وأنه يقوم برعايته وإرشاده والسهر على مصالحه بعطف لا مثيل له ، وأن الشعوب الأخرى لم تحظ بشيء من هذا قط ، وبدلاً من أن تعمل هذه الفكرة على تمسك اليهود بتعاليم موسى عليه السلام الحقيقية فقد ملأتهم غروراً بأنفسهم وإحساساً باستعلائهم العنصرى وتفوقهم على كل الشعوب والأجناس والقبائل .

وراح الكثيرون منهم يظنون أن اختيار الله إياهم لهذه الرسالة ليس إلا جزاءاً عادلاً على فضائل السمو والتفوق الطبيعية التى امتاز بها جنسهم . واعتقدوا أن العهد الذى قالت الكتب المقدسة أنه تم بينهم وبين يهوه آلههم ليس إلا محالفة بين ندين متساويين تضمن لليهود [التسلط المادى على جميع بنى البشر فى مقابل التفافهم حول [يهوه] وإيمانهم به كما امتلأت نفوسهم بغضاً واحتقاراً لشعوب

الأرض كلها وبعد أن كانوا يرون أنهم [شعب الله] أصبحوا يؤمنون أنهم [الشعب الإله[1]] .

— ٥ —

انقرضت أسباط بنى إسرائيل جميعاً إلا بقايا من سبط يهوذا ، ظلت تحت الحكم الاستعمارى الذى احتل فلسطين ، وقد حاولت هذه الفلول المتناثرة أن تتجمع وتتوحد بيد أنها فشلت إذ تنبهت جميع الدول لخطرها من ناحية ومن ناحية آخرى أن وعد الله حق حيث أنزل القسوة فى قلوب ملوك تلك الدول ليكونوا أداة لتنفيذ الأحكام الإلهية .

[لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل هأنذا أجعل وجهى عليكم للشر ولأقرض كل يهوذا وآخذ بقية يهوذا فيفنون كلهم[2]] .

وعندما تقع الأمم والشعوب تحت سيطرة الاستعمار ، وقسوة الملوك تولد فيهم الرغبة للتعاون والتكتل والتآزر ، غير أن اليهود كانوا على خلاف ذلك ، فمنهم من تزلف إلى الملوك بالتقرب إلى آلهتهم ، ومنهم من استغل احتياجات إخوانه وبنى جلدته ، وبذلك تفشى بينهم

(١) القصاص : الإسرائيليون وروح العدوان ص ٨٦ .
(٢) أرميا ٤٤ : ١١ – ١٢ .

الاستغلال البشع ، والربا الفاحش وضاعت الفضائل بين تلك الفئة الضالة ، ممـا كان له أثره فى هزيمتهم وتشتيتهم فى الأرض ، وذلهم وخضوعهم للحكام والرؤساء من البـلاد المجـاورة وبلغ بهم الضعف والوهن الذى لا يمكن وصفه بأبلغ من قول نحميا :

[ولما سمع سنبلط أنا آخذون فى بناء السور ، غضب واغتاظ كثيراً وهزأ باليهود وتكلم أمام إخوته وجيش السامرة، وقال : ماذا يعمل اليهود الضعفاء ،هل نتركهم يذبحون ، وهل يكملون فى يوم . هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهى محرقة ، وكان طوبيا العمونى بجانبـه ، فقـال إن ما يبنونه إذا صعـد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم(١)] .

قام سنبلط القائد الكنعانى وطوبيا قائدجيش العمونيين ، وجشم قائد العرب وحور قائد الأشدوديين وغيرهم من قواد القبائل ورؤسائهم على أسوار مدينة أورشليم وهدموها وأحرقوا محتوياتها .

وكان عـدد سكان أورشليم يومئذ الذين يدعون النسب إلى يهوذا لا يتعدى المائتين والخمسين حيث تشتت أكثرهم فى أنحاء البلاد المجاورة تحت ضغط الإرهاب ، وذلك ما جاء فى سفر نحميا(٢) .

---

(١) نحميا ٤ : ١ – ٣

(٢) نحميا ٦ : ١٧ .

ويتضح من ذلك أن اليهود أضحوا بعيدين كل البعد عن النسب إلى إسرائيل ، إذ أصبحوا خليطاً من سبي وسلالة الشعوب سواء كان ذلك نتيجة الاختلاط الجنسى الذى أصبح تقليداً شائعاً وعرفاً سائداً بين اليهود ، أو دخول القبائل العربية فى الدين اليهودى . وذلك ما لم يستطع مؤرخو اليهود أنفسهم أن ينكروه .

ذكر نحميا هذه الحالة فى أحد أسفاره فقال :

(فى تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى ، بل بلسان شعب وشعب ثم قال : أليس من أجل هؤلاء : أخطأ سليمان ملك إسرائيل ولم يكن فى الأمم الكثيرة ملك مثله ، وكان محبوباً إلى إلهه ، فجعله الله ملكا على كل إسرائيل ، هو أيضاً جعلته النساء الأجنبيات يخطىء . فهل نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد إلهنا بمساكنة نساء أجنبيات[1]) .

ونخلص من كل ما تقدم إلى القول إن هناك اختلافاً كبيراً ، وبوناً شاسعاً بين بنى إسرائيل الحقيقيين وأنبيائهم الذين يدعون إلى

(١) نحميا ١٣ : ٢٣ ـ ٢٧ .

الله وبين اليهود الذين أصبحوا خليطاً من الشعوب وأنبياؤهم الذين يدعون إلى عبادة البعل والبعليم والعشتاروت وغيرهم من الآلهة .

فيهود اليوم هم سلالة القوم الذين لم يتهودوا إلا طمعاً فى اكتساب العصبية وبنوا دينهم على الخرافات تارة وعلى الماديات تارة أخرى حتى أتى حين من الدهر لم يكونوا شيئاً مذكوراً إلا فرقاً مشردة عاشت مشتتة بين الشعوب ، شاء المستعمر تحقيقاً لأهدافه ، وحفاظاً على مصالحه الحيوية أن يجمعها ويجعل منها شوكة فى جسد العرب والمسلمين .

— ٦ —

يستهدف اليهود القضاء على الدين المسيحى والدين الإسلامى على السواء ، يدل على ذلك أقوالهم وأفعالهم التى منها :

خطاب (ليفى) سكرتير الجامعة العالمية لليهود الأحرار فى اجتماع عقد بمدينة (كاليفورنيا) فى (لوس أنجيلوس) قال فيه :

(إن المسيحيين الخوارج الكفرة الذين يدعون أنهم أصحاب الحق الأقدس قد ساروا فى الطريق الخاطىء . وإننا ـ أصحاب العقيدة اليهودية ـ قد جاهدنا قروناً طويلة ، لندخل فى عقول أولئك الكفرة أن المسيح لم يوجد على سطح الأرض إطلاقاً ، وأن قصة العذراء

والمسيح كانت وستكون أبداً كاذبة ، وسنضع في المستقبل القريب عندما ما يستولى الشعب اليهودى على منصة الأحكام فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ استيلاء قانونياً فى رعاية الإله ـ يهوه ـ سنضع نظاماً جديداً للتعليم نثبت فيه أن الإله ـ يهوه ـ هو الذى يجب أن يعبد ، وأن قصة المسيح زيف وتزوير، وهكذا سنمحو المسيحية[1]).

إن خطبة ليفى هذه تدل على المؤامرة العالمية التى تدبرها الصهيونية للقضاء على المسيحية ، وما فيها من سمو وقيم أخلاقية .

يقول الحاخام [بينا موزربح] (إن اليهودى لا يقنع بهزيمة المسيحية ، بل يريد تهديد أتباعها ، إنه يحطم العقيدة الكاثوليكية والبروتستينية إنه يريد إثارة الخلافات ، ثم إنه يفرض إرادته على العالم من ناحية الأخلاق والحياة ، يفرضها على أولئك الذين محا عقيدتهم ، إنه يعمل فى سبيل هدفه الأزلى ، وهو إذلال ديانة المسيح) .

ومما يؤكد أن رغبة اليهود فى القضاء على المسيحية ليست فردية. ما جاء فى (بروتوكول حكماء صهيون) دستور الصهيونية العالمية ، وفى هذا الدستور ١٤ فقرة صريحة عن النزاع الشديد بين اليهودية

(١) من كتاب ان نكون لاجئين (ص ١٦٠) للدكتور أحمد معوض .

والمسيحية وبين اليهودية والعقائد الأخرى ومنها :

(وعندما نصل إلى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا ، وجود عقائد غير عقيدتنا ، وعلى ذلك يتعين علينا جميعاً أن نكتسح جميع الأديان والعقائد الأخرى جميعاً ، وإذا كان هذا يؤدى إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الخالق ، فهذا ما لا يتعارض مع وجهة نظرنا ، ويعتبر فى ذاته مرحلة تطور وانتقال) .

* * *

عارض اليهود الإسلام والرسول الكريم منذ اللحظة الأولى ، فقد رأوا فى محمد ودينه منافساً جديداً يوشك أن يقضى على نفوذهم .

سار اليهود فى عداوة مع الرسول على غير هدى ، وأخذوا يصرحون بالشك فى رسالته لا لشىء سوى أنه عربى والنبوة مقصورة فى نظرهم عليهم . ولأنه أيضاً بعث فى الحجاز والنبوة فى رأيهم إنما تكون فى الشام موطن الأنبياء(١) .

لما رأى اليهود ازدياد عدد المسلمين وانتشار الإسلام يوماً بعد يوم وأن العرب يقبلون على محمد والإسلام ، وأن جميع مصالح اليهود القائمة على ارستقراطية دينية فرضوها على العرب بقولهم إنهم

(١) جمال سرور : قيام الدولة العربية ص ١٤٤ .

شعب الله المختار وأبناء الله وأحباؤه ، أصبحت مهددة باستقرار الأمر لهؤلاء العرب . لما رأوا ذلك أيقنوا أن لا سبيل للمحافظة على هذه المصالح وضمان اطمئنانهم فى الجزيرة العربية إلا بالقضاء على محمد وأتباعه [1].

حاول الرسول أن يجذب اليهود إلى الإسلام ، بل إن المؤرخ (توماس أرنولد [2]) يذهب إلى أن اتخاذ بيت المقدس قبلة المسلمين فى الصلاة ـ قبل اتخاذ الكعبة ـ كان المقصود به استمالة اليهود .

وقد حاول الرسول الكريم استرضاءهم بوسائل أخرى كثيرة ـ فدأب على الاستشهاد بكتبهم المقدسة ، ومنحهم الحرية التامة فى إقامة شعائرهم الدينية وساوى بينهم وبين المسلمين فى الحقوق السياسية ولكنهم قابلوا صنيعه باستهزاء وسخرية فلما شعر الرسول بأنه لا جدوى من جذب اليهود إلى الإسلام أمر المسلمين أن يولوا وجوههم شطر الكعبة .

وقد اتخذ اليهود من الرسول الكريم وصحبه عدة مواقف ، نجتزىء منها ما يأتى :

---

(١) على حسنى الخربوطلى : محمد والقومية العربية ص ١٠٧ .
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٤٧ .

أولا : بعد أن أسلمت قبيلتا الأوس والخزرج وهما سكان يثرب (المدينة) وهاجر الرسول وصحابته إليهـــا ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأصبح المسلمون فيها كتلة قوية متحابة ، عز هذا على يهود يثرب وغاظهم تآلف المسلمين ، فأوعز أحد اليهود واسمه (شاس ابن قيس) إلى شاب يهودى أن يجلس بين الأوس والخزرج وينشد ما قال بعضهم لبعض أيام الجاهلية ، من تفاخر وتنابذ بالألقاب ، ليثير بينهم العداء القديم ، ففعل ... فتنازع القوم ، وتغاضبوا ، وقالوا: [السلاح السلاح] فأدركهم رسول الله (ص) ، وقال : أتدعون إلى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم .

فعلموا أنها كيد من اليهود ، وألقوا السلاح واستغفروا ، وفى هذا نزل القرآن الكريم بقوله [يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين [1]] .

ثانياً . تكررت محاولات اليهود فى إثارة الفتن بين المسلمين فى المدينة ، فاضطر هؤلاء إلى إجلاء اليهود عنها تباعاً ، حرصاً على الوحدة والدين ، لكن اليهود لم يسكتوا بعد جلائهم عن المدينة ، وذهب

(١) سورة آل عمران .

بعضهم إلى مكة ليثيروا ثائرة القرشيين الوثنيين ضد محمد وأصحابه . ووصل بهم الأمر إلى أن قالوا للقرشيين أن وثنية هؤلاء أفضل من دين محمد . . مع العلم بأن دين محمد دين توحيد كدين موسى . وبهذه الخديعة تمكن اليهود من الاتفاق مع قريش للايقاع بالمسلمين . وتحالفت قبيلة بنى النضير اليهودية مع قريش ، وتجمعوا آلافاً عدة من قريش وبنى النضير وغيرهم ، وذهبوا إلى المدينة ليضربوا المسلمين ضربة قاضية ، فكانت وقعة الخندق المعروفة ، وفيها حفر المسلمون خندقاً حول المدينة فعجزت الأحزاب عن غزوها ، وعسكرت خارجه. ولما طال أمد الحصار ، ولم تطق الأحزاب صبراً ، لجئوا إلى إغراء بنى قريظة القبيلة اليهودية الباقية فى المدينة ، لتنقض عهدها الذى عقدته مع المسلمين .. ففعلت . ومنعت عن المسلمين المحاصرين المدد والميرة . وقد انتهى الأمر بهزيمة الأحزاب ورجوعهم[١] .

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الغزوة فى الآيات :

[يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا[٢]] .

---

(١) الدكتور محمد حسين هيكل : حياة محمد .
(٢) سورة الأحزاب .

ولما عجزت مؤامرة اليهود وحروبهم عن هزيمة محمد والمسلمين عمدوا إلى قتله غدراً كدأب آبائهم فى قتل أنبيائهم . ومن ذلك ما روى من أن عمرو بن جحاش بن كعب من يهود بنى قريظة قد همّ بقتل محمد بطرح رحى عظيمة عليه وهو جالس فى دارهم ومستند إلى جدارهم لولا أن أمسك الله يد عمرو وأخبر محمد بواسطة جبريل عليه السلام فانسحب من مكانه وخرج ولم يصبه سوء وكان معه الخلفاء الأربعة . ونزل فى ذلك قوله تعالى :

[يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون(1)] .

وكذلك روى أن زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم زعيم خيبر حاولت قتل محمد (ص) غدرا بعد أن وقع الصلح مع خيبر فأهدت إلى محمد شاة مسمومة فجلس هو وأصحابه ليأكلوها فتناول عليه السلام الذراع فلاك منها مضغة فلم يستطع إساغتها وكان معه بشر بن البراء فتناول منها مثل ما تناول الرسول فأساغها وازدردها .

فأما الرسول فقد لفظها وهو يقول : إن هذا العظم ليخبرنى أنه

---

(1) سورة المائدة : 11 والقصة فى تفسير البيضاوى ج 2 ص 140 .

مسموم . ثم دعا زينب وسألها فلم يسعها إلا الاعتراف بالجريمة ، وأما بشر فقد مات من هذه الأكلة المسمومة الغادرة .

وقد حاول اليهود الدس على الاسلام لإفساد العقيدة ، وإبعاد المسلمين عن حقيقة دينهم .

وهذه الاسرائيليات معروفة عند المتخصصين فى الدراسات الإسلامية ، ومن أشهر آثارها فى المكتبة الاسلامية تفسير الخازن الذى عرف بأنه يحوى قدراً كبيراً من الاسرائيليات .

وقد كانت بداية الخطة التى حاولت فيها الاسرائيلية الدخول فى عقائد الاسلام ممثلة فى رجل يدعى عبد الله بن سبأ الذى اجتمع حوله بعض الناس ، وابتدأت على يديه البدع والضلالات ، وظهرت الخلافات .

ومما يذكر عن عبد الله بن سبأ أنه قال لعلى بن أبى طالب — كرم الله وجهه — أنت أنت ، يعنى أنت الإله . فنفاه إلى المدائن . ويقال إن ابن سبأ كان يهودياً ثم أسلم ، وكان يقول فى يوشع بن نون وصى موسى ، مثل ما قال فى على بن أبى طالب . وعن طريق ابن سبأ ظهرت فرق الغلاة وزعموا أن علياً حى لم يقتل ، وفيه الجزء الإلهى ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذى يجىء فى السحاب ،

والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً وقد قال ابن سبأ هذه الأقوال الكافرة بعد وفاة على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وقد ظهرت فى فترات مختلفة من التاريخ الإسلامى أثر الدعوات الإسرائيلية المنحرفة ، ففى أيام المنصور ظهر رجل يدعى « عوفيد ألوهيم » وسمى نفسه أبا عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى وكان قد بدأ دعوته فى أيام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ، وتبعه كثيرون من اليهود ، وزعموا أنه له آيات ومعجزات ، وادعوا أنه لما حورب خط على أصحابه خطاً بعود من الخشب وقال لهم .

— أقيموا فى هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح .

وظل هذا الإسرائيلى يحارب حتى التقى بأصحاب المنصور فى بلدة « الرى » فقتل وقتل أصحابه .

كما ظهر إسرائيلى آخر يدعى « موشكا » كان يحرض أصحابه على الخروج على الدولة ومحاربتها ، وخرج مع تسعة عشر رجلا لمحاربة المنصور فقتل بناحية «قم » ومن أغرب ماقال به « موشكا »

اعترافه بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام فى العرب وسائر الناس ماعدا اليهود ! !

وقد استطاعت الصهيونية فى فترات مختلفة اقحام نفسها فى السياسة عن طريق اعتناق بعض أفرادها من الإسرائيليين للدين الإسلامى ، ومن أشهر هؤلاء (كاميل باشا) الذى اعتنق الإسلام وأصبح رئيساً للوزارة فى عهد السلطان عبد الحميد أيام الخلافة العثمانية .

واليهود الذين تآمروا ضد الدين المسيحى والدين الإسلامى ، تآمروا أيضاً على حرية الإنسان وكرامته ... فقد ورد فى دائرة المعارف اليهودية ما يلى(١) :

وكان من الطبيعى أن يسهم اليهود فى تجارة الرقيق ، التى كانوا صالحين لها كل الصلاح ، بالنظر إلى معرفتهم الواسعة باللغات ، وعلاقاتهم المنتشرة فى جميع أرجاء العالم .

ولقد ظهر تجار الرقيق اليهود إلى حيز الوجود منذ القرن الأول للحقبة المسيحية فى أوربا ، وقد تزايد نشاطهم بصورة خاصة بعد القرن السادس ..

---

(١) المجلد التاسع ص ٥٦٥

وجاء فى الموسوعة اليهودية[1] — وهـذه الموسوعة غير دائرة المعارف اليهودية التى أشرنا إليها — ما يلى :

وقد أصبح اليهود فى القرن السادس ، أكبر تجار الرقيق فى العالم وكان العبيد البريطانيون الذين يحملون إلى أسواق النخاسة الرومانية سـلعة يتناولهـا تجار الرقيق اليهود ، وشرع هؤلاء التجار اليهود يحملون العبيد فى القرن التاسع من الغرب إلى الشرق ، ومن الشرق إلى الغرب . وكان الـكثيرون من يهود أسبانيا مدينين بثرائهم إلى تجارة الرقيق .

* * *

ويتضح لنا من هـذا كله أن اليهود يتآمرون منذ فجر التاريخ على الأديان ، وضد حرية الإنسان وكرامته وحقه فى الحياة الـكريمة . ومن المحتم على الذين يؤمنون بحق الإنسان فى الحيـاة الحرة الـكريمة ، أن يقفوا صفاً واحداً ضد هذا التيار الماحق المدمر، لينحسر عن أرضنا لنعيش حياة طيبة آمنة ...

(١) المجلد الثانى ص ٤٠٩

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١

مكتبة الأنجلو المصرية

[illegible]